T
175A

# الشيخ ابراهيم اليازجي ومجلة «الضياء»

رسالة مقدمة إلى دائرة اللغة العربية
ولغات الشرق الأدنى في الجامعة
الأميركية ببيروت لنيل درجة
ماجستير في الآداب

إعداد
توفيق فوزي الجراح

١٩٧٧

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

THESIS RELEASE FORM

I do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

TAWFIK F. JARRAH

Name

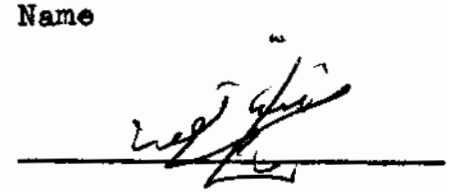

Signature

Feb, 4, 1977

Date

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title

# SHEIKH IBRAHIM AL-YAZIJI
# AND
# AL-DIYA' MAGAZINE

By

TAWFIK F. JARRAH

Approved:

| | |
|---|---|
| Professor Fuad Tarazi | Advisor |
| Professor Antoine Karam | Member of Committee |
| Professor Sami Makarem | Member of Committee |

Date of Presentation Feb. 4, 1977

إلى مكتبة نعمة يافث والعاملين
فيها مع خالص الشكر لما قدّموه إليّ
من عون في سبيل جمع معلومات هذا
البحث .

٢٧/١/١٩٧٧

## المخطّط العـــام


ص

ـ تصديـــــر ٣

( الباب الاول )

ـ مدخل البحث :

أ ـ عصر الشيخ ابراهيم اليازجي ٤

ب ـ الاسرة اليازجيّة : ١٠

ـ أصلها

ـ جهودها الادبيّة

ـ جهود الشيخ ناصيف ١١

ـ الشيخ ابراهيم اليازجي

ـ سيـــرتـــــه : ١٥

ـ مواهبه ١٦

ـ صفاته ٢٠

ـ نشاطاته الادبيّة واللّغويّة :

أ ـ في المناظرات والمقالات ٢١

ب ـ في وضع المصطلحات ٢٤

جـ ـ في التنقيح والمراجعة ٢٧

د ـ في الشّرح والتّعليق ٣٠

هـ ـ في التأليف :

١ ـ في النّثر : ٤١

اسلوبه النثري ٤٣

٢ ـ في الشّعر : ٤٦

خصائصه الشعريّة

( الباب الثانـــي )

الصحافـــــة في عهـــده ٦٧

ـ في الطريق الى الضياء ـ جهوده الصحافية الاولى : ٦٩

ص

ـ النّجاح ٦٩

ـ الطّبيب ٧٠

ـ البيـان ٧٣

ـ الضّيـــاء : ٨٠

ـ تمهيـــد ٨٠

ـ سبب اصدارها واهداف اليازجي فيها ٨٢

ـ صدورهـــا ٨٣

ـ عرض شامل للمجلّة واتّجاهاتها ٨٤

ـ جهود الشيخ ابراهيم الرئيسية فيها ٩٠

ـ خاتمـة البحث ١٠٢

ـ المصادر والمراجع ١٠٤

## تصـــــديـــــر

هذه محاولة لتتبّع سيرة علم من اعلام النهضة الفكريّة في الشرق العربي خلال القرن التاسع عشر ودراسة آثاره. انهّ الشيخ ابراهيم اليازجي الذى عمل جاهدا في سبيل تنقية اللّغة العربيّة من شوائبها وجعلها طيّعة قادرة على التعبيـــــر عن متطلّبات عصره.

ولقد وجدتُ انّ هذا البحث لا تكتمل حلقاته الّا بتسليط الاضواء على النواحي الفكرية والادبية خلال القرن التاسع عشر في بلاد الشام لفهم المناخ الثقافي الذى احاط بالشيخ ابراهيم. وأمّا المنهل الثقافي الذى نهل منه شيخنا فكان العائلة اليازجيّة التي عرضتُ لجهودها الادبيّة والفكرية المتمثّلة بجهود والده الشيـــخ ناصيف الذى اقتفى نجله الشيخ ابراهيم آثاره دون ان يكتفي بالوقوف عند حدّ الاقتفاء. وخلال عرضي سيرة الشيخ ابراهيم ابرزتُ جهوده المتنّوعة ثم عرضـــت آثاره المختلفة التي كانت مجلّته "الضياء" ركيزة هذا البحث، أهمّها.

ولقد واجهتني في اثناء جمعي المعلومات والحقائق التي تشكّل أسس هـــذا البحث صعوبات لعلّ ابرزها الجوّ المضطرب الذى عاشته البلاد عاما ونيف. أما مصادر هذا البحث فكانت ترتكز على ما هو منشور من مؤلفات الشيخ ابراهيم وآثار معاصريه. واعتقد أنّ المعلومات التي وقعتُ عليها في هذه المصادر موثوقة لانّها ترتبط ارتباطا مباشرا بالشيخ ابراهيم نفسه وبمن عاصروه كجرجي زيدان وفارس نمر ومحمّد كرد علي.

وبعد عمل شاقّ في مصادر غزيرة المادّة، ارى أنّ مكافأتي تكون باشارة أُولي المعرفة والاطّلاع الى مواطن الخطأ والزّلل في هذا البحث المتواضع مع اشارتهم الى مواطن الاجادة فيه. وانّني لاعتذر عمّا قد يبدو منّي من تقصير في ايفاء الشيخ ابراهيم اليازجي حقّه في اظهار مكانته رغم انّني قاسيت الكثير من المصادر التي بين يديّ لاظهر فضل هذا الرجل على اللغة والفكر في عصره.

وبعد، ارفع شكري الى السّادة الذين مدّوا لي يد العون والارشاد وبخاصّة اساتذة الدائرة العربيّة في جامعة بيروت الاميركية الذين أخصّ منهم بالشكر الدكتورين محمّد نجم وفؤاد طرزى.

واللّـــــه الموفّـــق

توفيـــق فوزى الجـــــرّاح

بيروت، تمّوز ١٩٧٦

أ ـ عصر الشيخ ابراهيـــم اليازجـــي

الشيخ ابراهيم اليازجي وليد النهضة العربيّة الحديثة في القرن التّاسع عشر ، ولا بدّ لي من ان اسلّط بعض الاضواء على أهمّ النواحي الفكرية التي رافقت هـــذه النّهضة ليسهل علينا فهم المناخ الثقافي الذى عاش فيه .

لقد كان من نتائج التسامح الديني الذى تميّز به حكم ابراهيم باشا في بلاد الشّام فتح الباب امام البعثات التبشيريّة الغربيّة متيحا بذلك المجال ، من حيـــث يدرى اولا يدرى ، لقوتّين " احداهما فرنسية والاخرى اميركية قدّر لهما ان تحضنا البعث العربي وترعياه" . ( ١ ) فانشأء الكليّة الاميركيّة البروتستانتيّة عام ١٨٦٦ ونجاحها في اداء رسالتها الثقافية والتبشيريّة دفع الفرنسيين الكاثوليك على منافسة الاميركيين البروتستانت. فقام اليسوعيّون يعزّزون مدارسهم الثانوية في غزير وبيروت وصيدا وانطلقوا لانشاء الكلّية اليسوعيّة في بيروت لمنافسة الكلية الاميركية . ( ٢ ) وكان نور ضئيل للنهضة في بلاد الشّام قد ظهر في اواخر القرن السابع عشر على أثر قدوم الارساليّات الدينية التي انشأت كنائس ومدارس ، ممّا ساعد على ظهور طبقة من العلماء جلّهم من رجـــال الدّين وذلك قبل النهضة الحديثة التي كانت حملة نابوليون بدايتها . ( ٣ ) لقد اتّسمت ملامح النهضة الادبيّة العربيّة قبل هذه الحملة بالنسج على منوال الآثار القديمة ومحاكاة السّلف في الفنون اللّغوية والادبيّة دونما خروج عمّا الفه العرب من اساليب الكتابة والتعبير . فمن حيث النثر ، كانت أساليب الكتابة تعدّ بليغة ان هي حاكت اسلوب المقامات المسجّعة ، وامّا من حيث الشعر فقد غرق الشعراء بالصناعـــة اللفظيّة والمحسّنات البديعيّة وقلدوا السلف في موضوعات قصائدهم ومعانيها واساليبها . ولعلّ هذا الامر جعل جرجي زيدان يفهم النهضة العلميّة الحديثة خلال القرن التاسع عشر في الشرق على انها انتقال اصاب اللغة العربيّة على اثر اختلاط الشرقيّين

---

( ١ ) انطونيوس ، جورج : " يقظة العرب" ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٢ ، ص ٩٧ .

( ٢ ) شيخو ، لويس : " الآداب العربيّة في القرن التّاسع عشر " ، ج ٢ ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ٤ .

( ٣ ) راجع : زيدان ، جرجي : " تاريخ آداب اللّغة العربية " ، ج ٤ ، مصر ١٩١٤ ، ص ١١ .

بالغربيّين واقتباسهم علومهم المبنيّة على المشاهدة والاختبار واقتفاء آثارهم في انشاء المطابع والجرائد . (١) وقد ساعد على نشر هذه النّهضة وتطويرها حملة نابوليون على مصر ( ١٧٦٨—١٨٠١ ) التي يعتبرها الباحثون ، ومنهم جرجي زيدان ، بداية النهضة في مصر وبلاد الشام حيث تقلّبت على أطوار اختلفت باختلاف الاحوال السياسيّة والاجتماعيّة في كلّ قطر عربي . (٢) فحملة نابوليون على مصر كانت تحديا ثقافيا وعسكريا بين الشرق والغرب في زمن غرق فيه الشرق في اجترار الامجاد الغابرة . ولقد نبّهت هذه الحملة الشرق العربي من غفوته وفتحت عيونه على معالم الحضارة الجديدة فكانت الشّعاعات الاولى لنهضته التي سطعت شمسها في مصر اكثر من أيّ قطر عربي آخر نظرا لاحوال سياسيّة واجتماعيّة خاصة لعلّ اهمّها وجود جوّ فكريّ مناسب وانتشار الطّباعة فيها ممّا شجّع جرجي زيدان وابراهيم اليازجي وسواهما من اعلام النهضة على الهجرة الى الديار المصريّة حيث اصدر الشيخ ابراهيم " الضياء " أضخم نتاجه .

ولعلّ أهمّ مظاهر النهضة في بلاد الشام خلال القرن التّاسع عشر ممّا يتّصل ببحثنا ما يلي :

انشاء المدارس — شيوع الطّباعة — نشاط الصّحافة — ظهور جمعيّات أدبيّة وعلميّة — حركة الاستشراق . واستكمالا للبحث ومنعا للغوص في نواح لا علاقة لها بجوّه العام ، لن اعرض بشيء من التّفصيل الّا الى هذه المظاهر الآنفة الذكر .

امّا انشاء المدارس وانتشارها فكان في مصر بفضل جهود محمّد علي باشا وفي لبنان وبلاد الشّام عن طريق البعثات التبشيريّة . فبعد جلوس محمّد علي على عرش مصر عام ١٨٠١ ، بعد خروج الفرنسيين منها ، اهتمّ باقتباس أسباب المدنيّة الحديثة كما اهتمّ بنشر العلم والادب وبانشاء المدارس المختلفة . (٣) اما في لبنان فقد شجّع المبشّرون المدارس التي تخرّج فيها ادباء مشهورون كناصيف اليازجي وبطرس البستاني

---

(١) انظر : زيدان ، جرجي : " تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر " ، ج ٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لا . ت . ص ١٦٥—١٦٦ .

(٢) انظر : " تاريخ آداب اللغة العربيّة " ، ج ٤ ، ص ٩ .

(٣) انظر : " تاريخ آداب اللّغة العربيّة " ، ج ٤ ، ص ١٩ .

اذ بعد فتنة ١٨٦٠ الطائفيّة في لبنان حدثت حركة نزوح من الجبل الى بيروت ، فانبرت الارساليّات تساعد النّازحين بانشاء المدارس على اختلاف اغراضها ففـدت بيروت " مبعث العلوم العصريّة ومنشأ رجال الصّحافة وكتّاب الادب . . ."(١) وقد كان لاعمال المبشّرين الثقافيّة أثر فعّال في ايصال الفكر الغربي الى العقل العربي ممّا ساعد على ظهور نهضة عامّة شملت شتّى ضروب الحياة . غير انّ هذه النّهضة كانت أقلّ وضوحا في لبنان منها في مصر بالنّظر الى ظروف الاخيرة السياسيّة والاجتماعيّـة التي ساعدت على انفتاحها الفكرى في عهد محمّد علي باشا ومن خلفه .

انصرف الرّعيل الاوّل من اعلام هذه النّهضة في لبنان الى إحياء القديم فتميّزت اعمالهم بالبحوث اللّغويّة ومحاكاة الادب القديم ، ولعلّ جهود الشيخ ناصيف اليازجي خير مثال على هذا الرّعيل الذى كان ابناؤه نسيج انفسهم ، اذ لم يتعلّموا في مدارس منظّمة بل نبغوا بفضل مواهبهم الفرديّة تحت نظارة بعض الذين سبقوهم في ميادين الادب والفكر . (٢) وقد تسلّموا اللّغة العربيّة ممّن سبقهم وهي لم تتحرّر بعد من الرّكالة والضعف . فارتأوا ان لا سبيل الى اصلاحها بغير العودة الى آثار القدماء . فنهلوا من الادب القديم واتخذوا من روائعه العبّاسيّة المتميّزة برونقها وحسن بيانها نماذج عمدوا الى محاكاتها . فكانت موضوعاتهم الشعريّة تتراوح بين مدح ورثاء وتعزية . . . وكانت معانيهم واساليبهم متشابهة رغم تباعد العهدين . فاذا كريمهم بحر وشجاعهم اسد وحبيبهم غزال . ثم انّهم كتبوا المقامات مقلّدين السّلف في اختيار الالفاظ وايراد المعاني وانتهاج الاسلوب حتّى كاد يصحّ " اعتبار ادب هذه الفترة استمرارا للادب العبّاسي المتأخّر" . (٣) ولعلّ المعلّم بطرس البستاني والشيخين احمد فارس الشدياق وناصيف اليازجي خير مثال على هؤلاء الادباء .

---

(١) نفسه ، وانظر " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٢) شيخو : " الآداب العربيّة في القرن التّاسع عشر" ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٣) انظر : اليازجي ، كمال : " روّاد النهضة الادبية في لبنان الحديث ، ١٨٠٠—١٩٠٠" ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٨٠ .

اقبل رجالات هذا الرّعيل على مؤلّفات العصر العّباسي اللغويّة كألفيّة ابن مالك وحاولوا تبسيطها واختصارها ليسهل على طلّاب العربية استيعاب مبادئها اللغويّة. لذلك عمد بعضهم كالشيخين ناصيف اليازجي واحمد فارس الشدياق الى وضع كتب مدرسيّة لغويّة موجزة، فكان هذا ضربا من ضروب التجديد لديهم. (١) وقلّد وا القدماء كذلك في نظم الاراجيز التعليميّة فجمعوا اصول اللّغة فيها كما فعل الشيخ ناصيف اليازجي حين جمع اصول اللّغة في ارجوزته "نار القرى في شرح جوف الفرا". (٢) لقد كان همّ هذا الرّعيل احياء اللّغة العربيّة القديمة والقضاء على كلّ جديد اذا كان على حساب اللّغة نفسها ممّا يسبّب زللا في اللّسان العربي. والشّيخان يوسف الاسير وناصيف اليازجي كانا من ابرز العاملين على احياء اللّغة العربيّة وبعث شبابها من جديد. ولقد اثمرت جهود هؤلاء الحريصين على احياء اللّغة. فقد غرس الشيخ ناصيف اليازجي، مثلا، في نفوس تلامذته وابنائه حبّ اللّغة العربيّة كهويّة قوميّة فامتدت آثار مدرسته على ايدي تلامذته واشهرهم ابنه الشيخ ابراهيم الذى كان من اوائل القوميين العرب الذين اتّخذوا اللّغة العربيّة في عصر شبابها رابطا قوميا يشدّ العرب بعضهم الى بعض.

يبدو لمتتبّع آثار الشيخ ناصيف اليازجي وسيرته أنّ حركته اللّغويّة كانت بعيدة عن روح عصره المتلقّح بالعلوم الوافدة من الغرب. الّا انّ مكانته تبدو في انّه بتمسّكه بالقديم حافظ على صحّة اللّسان العربي وحدّ من تطرّف المجدّدين على حساب اللّغة. فكانت آثاره تعكس خيرما في القديم من اصول التعبير وبلاغة الاسلوب، وهي وان لم تشكّل فتحا جديدا فانّها "ايقظت نائما وبعثت ميتا دفينا... فهيّأت التربة الصالحة لحركة تجديد كان لا بدّ من ان تشاد على اساس سليم". (٣)

---

(١) لليازجي "فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب" وللشدياق "غنية الطالب ومنية الراغب".

(٢) "رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث"، ص ٧٩.

(٣) "رواد النهضة الادبية"، ص ٨٦—٨٧.

وكان من الطبيعي ان ينشأ بين تيّار التجديد والانفتاح وتيّار المحافظة والتقليد تيّار معتدل يشكّل حركة وسطا . ولعلّ المعلّم بطرس البستاني يمثّل رجال هـذه الحركة الذين لم يأنفوا من الانفتاح على ثقافة الغرب ليستعيروا من الغربيين ما وجدوه موافقا لرقيّ آدابهم ممهدين للآتين بعدهم توسيع مداركهم واغناء لغتهم. فبأتقانه بعض اللّغات الاجنبية ومنها الانجليزية تعرّف البستاني الى المبشّرين الاميركيّين وشارك عالي سميث في ترجمة الكتاب المقدّس. أما ابرز جهوده فتجلّت في وضعه معاجم جمع فيها الالفاظ العربيّة القديمة الى جانب المصطلحات الحديثة التي استُحدثت في النّهضة الاخيرة. ويظهر ميله الى التّجديد ايضا في وضعه دائرة المعارف التي راجع في اعدادها مصادر عربيّة وغربيّة عديدة. فالمعلّم بطرس البستاني يمثّل جيلا انفتح على التحصيل العلمي العصري فجمع بين فضائل القديم ومعالم الجديد.

واذا تابعنا معالم النّهضة الفكريّة خلال القرن التاسع عشر تستوقفنا النهضة الصحافيّة التي لم تظهر في الشرق العربي الّا بعد دخول القرن التاسع عشر. ولقد ابدى ابناء بلاد الشام نشاطا عظيما في ميدان الصحافة ولا سيّما العلميّة منها. فيعقوب صرّوف وجرجي زيدان وابراهيم اليازجي شخصيّات سوريّة اسهمت اسهاما كبيرا في هذا الميدان وبخاصة حين ارتحلت الى مصر حيث كان المناخ الثقافي ملائما لذلك وفنون الطّباعة متقدّمة. ولعلّ مجلّة الشيخ ابراهيم اليازجي "الضياء" ـ ركيزة هذا البحث ـ نموذج حيّ للصّحافة العلميّة والادبية في الشرق العربي خلال القرن التاسع عشر.

من مظاهر النّهضة الفكرية خلال القرن التاسع عشر ايضا ظهور الجمعيّات العلميّة والادبيّة. وعلى سبيل المثال اذكر "جمعية الآداب والعلوم" التي أنشئت في بيروت عام ١٨٤٧ والتي كان من اعضائها ناصيف اليازجي وسليمان البستاني وعالي سميث. ولقد كانت هذه الجمعية الاولى من نوعها في بلاد الشّام. ويذكر جورج انطونيوس انها كانت الاولى من نوعها في أيّة بقعة من العالم العربي في ذلك الوقت، لانّ فكرة رفع مستوى المعرفة ببذل جهد جماعي منظّم "كانت غريبة عن الطبيعة العربيّة الفرديّة".

---

(١) انظر: "يقظة العرب"، ص ١١٧. وانظر ص ١٦ من هذا البحث.

وحركة الاستشراق مظهر آخر من مظاهر النهضة الفكريّة خلال القرن التاسع عشر. ولصلته بهذا البحث اذكر المستشرق الالماني فردريك ديتريصي الذى نشر كتاب الواحدى في شرح ديوان المتنبي والذى اطّلع عليه وافاد منه الشيخ ابراهيم اليازجي حين اكمل كتاب ابيه "العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيّب". وسأثبت صحّة هذا الرأى في معرض حديثي عن مؤلّفات الشيخ ابراهيم.

ويجدر بنا هنا ان نتساءل عن بواعث النّهضة الفكريّة خلال القرن التاسع عشر. فجرجي زيدان الذى أرّخ لهذه النهضة رأى انّ القرن التاسع عشر تأثّر بالمدنيّة الاوروبية وانّ الآداب العربية قبل ذلك العصر كانت محصورة ضمن دائرة المدنية العربيّة الاسلاميّة التي نمت نموّا داخليا تحت راية التقليد. لهذا، فهو يرى انّ نهضة القرن التاسع عشر قد وصلتها بذور نموّها من الخارج. (١) ويبدو لي، في معرض مناقشتي رأى جرجي زيدان، انّ بواعث النهضة خلال القرن التاسع عشر لم تكن نتيجة مؤثرات خارجية فحسب ولا ثمرة وعي داخلي مفاجيء فقط. فجهود البعثات التبشيريّة في مجالات الفكر وانفتاح الشرق على الغرب وبخاصّة زمن حملة نابوليون على مصر بالاضافة الى وجود اعلام الفكر في الشرق عوامل تضافرت جميعها لتكوّن نهضة فكريّة في الشرق عامّة وبلاد الشام خاصّة، خلال القرن التاسع عشر. فالشيخ ناصيف اليازجي والمعلّم بطرس البستاني والشيخ احمد فارس الشدياق، مثلا، كانوا رجالا عصاميّين اعتمدوا على مواهبهم الذاتيّة في مواصلة علمهم وقد ساعدهم الجوّ العلمي الذى نسجته حولهم الارساليات التبشيريّة على استكمال ثقافتهم. فالارساليات العلميّة والانفتاح على الغرب لم يخلقا مواهب هؤلاء وطاقاتهم بل انّ الاجواء العلميّة الوافدة من الغرب كانت حافزا لهذه المواهب على المزيد من العطاء.

وبعد، كان القرن التاسع عشر محطّة تحوّل من ركود الى احياء. بدأ رجاله الاوائل نشاطهم بتصفية اللّغة من شوائبها معتمدين ادب العصر العبّاسي مثالا يحتذى. ثم تبعهم جيل آخر تسلّم اللّغة وقد تخلّصت من شوائبها صحيحة فاعتمدها

---

(١) انظر: "تاريخ آداب اللّغة العربية"، ج ٤، ص ٢١.

وسيلة للتعبير عن العلوم التي شاعت في النصف الثاني من ذلك القرن مسخّرين اللّغة للتعبير عن حاجات عصرهم الذى حفلت نهضته باعلام عصاميّين جمعوا الوانا شتّى من المعرفة . فاتقن بعضهم اللّغة ونظم الشعر واستوعب العلوم كالشيخ ابراهيم اليازجي ، شخصية هذا البحث ، وهو الذى صرف اهتمامه الاكبر للبحوث اللّغوية وتقويم الاخطاء اللّغوية الشائعة في عصره . وللشيخ ابراهيم اليازجي وامثاله يدين ادباء عصرنا بالفضل ، لان هذا السلف قدّم لنا لغة صحيحة ، عميقة المعاني ، طيّعة الالفاظ ، قادرة على التعبير في شتّى المجالات .

ب — الاسرة اليازجيّة

يرجع اصل هذه الاسرة العربيّة الى القرن الخامس عشر للميلاد حين هاجر جدّها الاول من حوران الى حمص حيث نشأ منها كتّاب للولاة . (١) وفي اواخر القرن السابع عشر للميلاد قدم احد جدود هذه الاسرة ، وهو سعد ، الى غرب لبنان ونزل ببلدة الشويفات حيث نال منزلة لدى الامير احمد المعنى آخر حاكم معنى للبنان ، وكتب له فمنحه الامير لقب شيخ لوجاهته وعلمه فلزم اللّقب الاسرة اليازجيّة .

انجب سعد ثلاثة ذكور صاروا آباء لثلاثة فروع : جنبلاط ونجم وباز . وجنبلاط هذا هو رأس الاسرة اليازجيّة المشهورة بعلومها ومؤلفاتها في لبنان وسوريا والبلاد العربيّة . (٢) وعقب النزاع بين الدروز والمسيحيين بعد حرب عام ١٨٤١ ، نزح بعض نصارى لبنان الى بيروت وفي جملتهم الشيخ ناصيف اليازجي وعائلته . (٣)

---

(١) المعلوف ، عيسى اسكندر : " الغرر التاريخية في الاسرة اليازجيّة " ، ج ١ ، مجلة الرسالة المخلصية ، ١٩٤٥ ، ص ٣ . وكلمة " اليازجي " ، وهو لقب جدّهم تعني الكاتب باللغة التركية : نفسه ، ص ٣ ايضا .
" تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر " ، ج ٢ ، ص ١٦ .

(٢) الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية " ، ج ١ ، ص ٤ .

(٣) زيدان ، جرجي : " الهلال " ، مجلّد ١٥ ( ١٩٠٦ — ١٩٠٧ ) ص ٢٥٨ .

وناصيف هذا ولد في قرية كفرشيما في الخامس والعشرين من شهر آذار من عام ١٨٠٠ م، وتلقّى مبادىء القراءة على راهب من بيت شباب يدعى القسّ متّى في زمن كانت وسائل التعليم فيه تكاد تكون محصورة في جماعة الاكليروس . ثم اخذ الشيخ ناصيف اليازجي نفسه في دراسة الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع ( البلاغة ) والعروض والقوافي والمنطق والطبّ والموسيقى . نظم الشعر وهو بعد في السادسة عشرة من عمره وعني بالخطّ عناية خاصّة فجوّده وبرع فيه ، كما انّه عمل كاتبا للبطريرك اغناطيوس الخامس . وعمل لدى الامير بشير الشهابي الكبير مدة اثني عشر عاما حتّى عام ١٨٤٠ ، وكانت له فيه مدائح قليلة . . . " وقد يكون مدحه بغير قصيدة ، . . . فلمّا بلغ سنّ النضوج انكر كثيرا من نظمه" . ( ١ )

واحترف الشيخ ناصيف مهنة تدريس اللّغة العربيّة التي كان متّجرا بها عارفا بقواعدها واحكامها في المعاهد التالية : ( ٢ )

ـ المدرسة الوطنيّة التي اسّسها المعلّم بطرس البستاني .

ـ المدرسة البطريركيّة

ـ الكليّة الانجيليّة السوريّة ـ الجامعة الاميركية حاليا ـ حيث كان في جملة طلابه الدكتوران يعقوب صرّوف وفارس نمر صاحبا " المقتطف" .

اتّصل الشيخ ناصيف بالمبشّرين الاميركيين فدرّس في كليّتهم وعمل معهم في تصحيح كتبهم العربيّة في مطبعتهم التي كان يديرها الدكتور عالي سميث . ( ٣ ) ويلاحظ ان الشيخ ناصيف رغم عمله مع الاميركيين البروتستانت ظلّ يدين وعائلته بالكاثوليكيّة . ( ٤ ) وانقطع الشيخ ناصيف في بيروت الى المطالعة والتعليم وكان بيته " مباءة العلماء ومرجع الفتاوى الادبيّة وعكاظ المحاضرات العلميّة والمطارحات اللّغوية" ( ٥ )

---

( ١ ) سابا ، عيسى ميخائيل : " الشيخ ناصيف اليازجي " ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٠—١١ .

( ٢ ) " الشيخ ناصيف اليازجي " ، ص ١٢ ، وانظر ايضا : " الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر" ، ج ٢ بيروت ١٩٠٨ ، ص ٢٦ .

( ٣ ) " الهلال" مجلّد ١٥ ، ص ٢٧٦ و " الآداب العربية في القرن التاسع عشر" ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

( ٤ ) انظر " الآداب العربية في القرن التاسع عشر" ، ج ٢ ، ص ٢٤ .

( ٥ ) " الشيخ ناصيف اليازجي " ، ص ١٠—١١ .

وراسله اكابر الشعراء ، وأيّد الدكتور عالي سميث في انشاء الجمعية السورية سنة ١٨٤٧م. ويذكر جورج انطونيوس انّ هذه الجمعية دعيت " جمعية الآداب والعلوم" وان ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وعالي سميث وكورنيليوس فان دايك كانوا من اعضائها . (١) وكانت لهذه الجمعيّة مكتبة صغيرة ولكنها كبيرة النفع ، وكان ناصيف اليازجي قيّما عليها وبطرس البستاني سكرتيرها . (٢) اما اجتماعاتها فكانت تعقد مرة كل اسبوعين ثم اصبحت تقلّ مع الزمن ، وكان يلقي احد اعضائها بحثا في كلّ اجتماع ، فكانت هذه الجمعية الجديدة الاولى من نوعها في بلاد الشام لرفع مستوى المعرفة ببذل جهد جماعي منظّم . . ثم تألفت " جمعيات اخرى على غرارها كان لها دور مهمّ في نمّو الحركة العربيّة القوميّة". (٣)

توفي الشيخ ناصيف اليازجي في ٨ شباط سنة ١٨٧١م (٤) مخلّفا مؤلفات عديدة ساعرضها بايجاز لانها في رأيي من اهم المنابع الثقافية التي نهل منها صاحب " النيا"، شيخنا ابراهيم اليازجي .

خلّف الشيخ ناصيف اليازجي مؤلّفات عديدة تشهد له بسعة علمه واطّلاعه ، واهمّها (٥) :

في الصرف والنحو ،

- " لمحة الطرف في اصول الصرف"، شرح فيه ابرز ما يجب معرفته في علم الصرف.
- " الجمانة في شرح الخزانة"، شرح مطّول لارجوزته الصرفيّة التي اسماها الخزانة.
- " اللّباب في اصول الاعراب" ، ارجوزة تحوي مبادىء النحو مع شرحها .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، " يقظة العرب" ، ص ١١٧—١١٨ .

(٤) " تراجم مشاهير الشرق" ج ٢ ، ص ٢٢ و " الدرر التاريخية"، ج ١ ص ٤٢ .

(٥) " تراجم مشاهير الشرق"، ج ٢ ص ٢٧—٢٨ و " الشيخ ناصيف اليازجي"، ص ١٩ — ٢٣ .

— "نار القرى في شرح جوف الفرا"، ارجوزة مستفيضة الابحاث النحويّة.

— "الجوهر الفرد"، وهو مختصر في علمي الصرف والنحو وضعه للطلبة الصغار.

— "طوق الحمامة"، مختصر نثري في النحو.

— "فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب"، وهو كتاب نثري في الصرف والنحو.

في المعاني والبيان والعروض،

— "عقد الجمان في المعاني والبيان"، يبحث في البيان والمعاني والبديع والعروض.

— "اللامعة في شرح الجامعة"، ارجوزة في علمي العروض والقافية علّق عليها وشرحها ابنه الشيخ حبيب.

— "الطراز المعلم"، ارجوزة مختصرة في البيان ومبادئه الاساسية.

في الادب (الشعر والنثر)

— ديوان شعر يتألف من ثلاثة اقسام: "النبذة الاولى" و"نفحة الريحان" و"ثالث القمرين"، سار فيه على نهج القدماء، وبخاصة المتنبي، مادحا وراثيا وواقفا على الاطلال...

— "فاكهة الندماء في مراسلة الادباء"، مجموعة قصائد دارت بينه وبين ادباء عصره.

— "مجمع البحرين"، كتاب مقامات نسّجه على منوال الحريري والهمذاني.

في المنطق،

— "قطب الصّناعة في اصول المنطق"، وهو رسالة نثرية في المبادىء المهمة في انواع القضايا المنطقية وضروب القياس.

— "التذكرة في اصول المنطق"، وهي ارجوزة صغيرة في المنطق.

في الطبّ،

— "الحجر الكريم في الطبّ القديم"، ارجوزة في الطبّ القديم فيها نصائح وفوائد في طرق المعالجة الاختبارية.

ـ " المقامة الطبّية " ، وهي مقامة موجودة ضمن مؤلّفه " مجمع البحرين " .

يلاحَظ مما تقدم ان الشيخ ناصيف اليازجي كان غزير الانتاج واسع الاطّلاع ، موسوعي المعرفة . امّا مؤلفاته وآثاره فكلاسيكية في اسمائها ومضمونها واسلوبها وهي تشكّل الثقافة الاولى لشخصية هذا البحث ـ الشيخ ابراهيم اليازجي .

## أبنـــاؤه (١)

اقترن الشيخ ناصيف بصابات ( وصابات تحريف اليصابات بلفة العامّة ) ابنه ابي ابراهيم موسى نصرة من اسرة الطويل الدمشقيّة (٢) ورزق منها ستة ابناء هم : حبيب وخليل وابراهيم وفارس ونصّار وعبد الله ، وستّ بنات هنّ : راحيل ومريم وآسيا وحنّة ووردة وسارة . وكانت وردة شاعرة وناثرة نشأت كاخوتها في بيت علم وادب .

---

(١) " الفرر التاريخية "، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٥١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٠ و " تراجم مشاهير الشرق " ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٢) " الفرر التاريخية "، ج ١ ، ص ٦٧ .

## الشّيخ ابراهيـــم اليازجـــي

### سيرتـــه

هو الشيخ ابراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي ، ولد ببيروت في الثاني من آذار سنة ١٨٤٧م، (١) وفيها قضى طفولته وشبابه . ترعرع على حبّ العلم اقتداءً بابيه الذى علّمه اللّغة والادب واتاح له حضور مجالسه الحافلة بالعلماء والادباء. (٢) حفظ القرآن الكريم في صباه وقرأ مبادىء الفقه الحنفي على الشيخ محي الدين اليافي الذى كان احد مشاهير أئمة بيروت. (٣) وقد روى عنه تلميذه الشاعر خليل المطران انّه كان مولعا ببلاغة القرآن الكريم وانّه كان يحثّ طلّابه اذا كتبوا ان يستشهدوا بآياته. (٤) كان يتردّد على مطبعة الاميركان ببيروت ايام كان والده يصحّح مطبوعاتها فولع بمعرفة تركيب آلاتها والوقوف على حروفها ونقوشها فشبّت فيه رغبة في الصناعة. (٥) وقد ذكر عارفوه انّه تعلّم الفرنسية والانكليزية واخذ بطرف من الالمانيّة لكنّهم لم يشيروا الى المعاهد التي تعلّم منها هذه اللّغات الاجنبيّة اوالى الذين علّموه اياها. (٦) والغريب انهم يذكرون ان اكثر ما اكتسبه من اللّغات الاجنبية والعلوم قرأه على نفسه ،

---

(١) جدى ، ادوار : "الثريّا" ، س ٥ ( ١٩٠٢—١٩٠٣ ) ، ص ٤٠٦ .
"تراجم مشاهير الشرق" ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) "الغرر التاريخية" ، ج ١ ، ص ٦٢ .
كحّالة ، عمر رضا : "معجم المؤلفين" ، دمشق ١٩٥٧ ، ج ١ ص ١٢٠ .

(٣) كرد علي محمّد : "المجمع العلمي العربي" ، دمشق ١٩٥٣ — المجلّد ٢٨ ص ٣ .
"الهلال" ، المجلد ١٥ ، ص ٢٦٤ .

(٤) "المجمع العلمي العربي" ، مجلّد ٢٨ ، ص ٦ .

(٥) "المقتطف" مجلّد ٣٣ ، مصر ١٩٠٨ ، ص ٤٨٤ .

(٦) "الثريا" س ٥ ، ص ٤١١ — "تراجم مشاهير الشرق" ج ٢ ص ١٦١ .
"المجمع العلمي العربي" المجلّد ٢٨ ، ص ٣ .

وهذا امر يصعب تصديقه . علّم اللّغة العربيّة وآدابها في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك ببيروت خلفا لابيه ، واشتغل بتصحيح المطبوعات في مطبعة الآباء اليسوعيين . (١)

ولم تقتصر اهمّ نشاطات الشيخ ابراهيم اليازجي في بيروت على التدريس في المدرسة البطريركية وتصحيح المطبوعات في مطبعة الآباء اليسوعيّين . فقد عمل في الصحافة البيروتيّة التي كانت آنذاك في اوائل نهضتها فتولّى تحرير مجلة " النجاح " عام ١٨٧٢ وتعاون مع صديقيه الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على اصدار مجلة " الطبيب" عام ١٨٨٤ بعد ان كان قد عُرض عليه عام ١٨٨٢ ان يكون " قائمقام" على مدينة زحلة فلم يقبل . (٢) ولعلّ ابرز النشاطات السريّة للشيخ ابراهيم اليازجي الشاب ببيروت كان عمله في " الجمعية العلمية السورية" التي كانت الانطلاقة الاولى لحركة القوميّة العربيّة . ونظرا لاهميّة هذه الجمعيّة سا عرض جهود الشيخ ابراهيم فيها .

كان الشيخ ابراهيم عضوا في اكثر من جمعيّة ، ووجد في الماسونيّة ما جذبه الى مبادئها فانخرط في سلكها . (٣) وانضمّ الى الجمعية العلمية السورية التي انشئت سنة ١٨٥٧ واعيد تأليفها على اسس اوسع من السابق عام ١٨٦٨ بعد ان اعاقت مذابح ١٨٦٠ جهودها . وهذه الجمعية كانت في رأى جورج انطونيوس " اول صوت ظهر لحركة العرب القوميّة . . . في اجتماع سرّى عقده بعض اعضائها" . (٣) كانت مجموعة من الشبان المتحمسين تضمّ فارس نمر وابراهيم اليازجي وشاهين مكاريوس ويعقوب صرّوف . . . وغيرهم قد تأثرت بمبادىء مدرّس اللغة الفرنسيّة في الكليّة البروتستانتيّة السورية كان يجاهر بآراء تقدّمية ويغرس في نفوس طلّابه الرغبة في طرد

---

(١) " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) نفسه ، ص ١٤٧ وانظر : اليازجي ، ابراهيم "العقد" ، البرازيل بلا .ت. ، ص ٢٣ .
سابا ، عيسى ميخائيل : "الشيخ ابراهيم اليازجي" ، دار المعارف ، بيروت ١٩٥٥ ، ص ٢٥ .

(٣) " يقظة العرب " ص ١١٩ — ١٢٠ .

العثمانيين من لبنان . (١) وعلى اثر ذلك نظم الشيخ ابراهيم قصيدة اتّخذت صورة النشيد الوطني وهي مثبتة في ديوانه " المقد " بخطّ يده في ثمانية واربعين بيتا ومطلعها :

تنبّهوا واستفيقوا ايّها العرب
فقد طغى الخطب حتّى غاصت الركب. (٢)

وفي هذه القصيدة تغنّى الشيخ ابراهيم بامجاد العرب التي اذا استلهموها فانهم يضمون لانفسهم مجدا عظيما . كما انه نبذ التفرقة الطائفية واثار الهمم للتصدّى للظلم العثماني . ويرجّح معاصره جرجي زيدان ان الشيخ ابراهيم نظم هذه القصيدة بناء على رغبة مسؤول كبير حثّه على نظمها لاخافة السلطان ودفعه الى ادخال اصلاحات في الامبراطورية العثمانية، (٣) ويبدو ان هذا المسؤول هو مدحت باشا الذى كان واليا على الشام. (٤)

ويذكر جورج انطونيوس مستندا الى ما تفوّه له به الدكتور فارس نمر احد مؤسّسي هذه الجمعية السورية انّ ابراهيم اليازجي ورفاقه كانوا يكتبون المناشير المنذّرة بفساد الحكم العثماني ويوزعونها ، وكان كلّ منشور ينتهي ببيت من ابيات قصيدة الشيخ ابراهيم الآنفة الذكر. (٥) وهذه القصيدة تُعتبر نشيدا لحركة التحرّر القومي العربي اطلقه الشيخ ابراهيم اليازجي الذى كان معتزا بتراثه العربي وبلغته التي كانت انتماءه العربي الاول والاساسي . (٦)

---

(١) Haim, Sylvia: " Arab Nationalism, an Anthology", London, 1962, p. 4, 5.

(٢) " المقد " ، ص ٥٦ .

(٣) " تراجم مشاهير الشرق" ج ٣ ، ص ١٥٨ .

(٤) " يقظة العرب" ، ص ١٥٣ ، وانظر
" Arab Nationalism, an Anthology", p. 5-F. note 2.

(٥) " يقظة العرب" ، ص ١٥٥ .

(٦) نفسه ، ص ١٢١ والمقدمة ص ١١ ، ١٢ .

لم يبق الشيخ ابراهيم في بيروت اذ غادرها عام ١٨٩٤ الى اوروبا حيث ساح مدّة ليشتري آلات طباعة ثم استقرّ في القاهرة وانشأ مع زميله الدكتور بشارة زلزل مطبعة "البيان"، فاصدرا مجلّة "البيان" عام ١٨٩٧ وحجباها بعد سنة وافترقا. (١) وفي مصر كانت "الضياء" ابرز جهود الشيخ ابراهيم وقد استقلّ بانشائها عام ١٨٩٨ فصدرت حتّى حال الاجل دون اصدارها بعد انقضاء عامها الثامن.

وكانت وفاة الشيخ ابراهيم اليازجي في المطريّة، من ضواحي القاهرة، في ٢٨ كانون الاول من سنة ١٩٢٦ ولم يكن قد تزوج. (٢) وفي الخامس من حزيران عام ١٩١٣ نُقلت رفاته الى بيروت حيث ضمّت الى رفات والده في مقبرة الزيتونة وكان في وداعها لفيف من الشعراء والادباء فرثاه العديد منهم، منهم تلميذه خليل مطران الذي خصّه بقصيدة جاء فيها. (٣)

"لا شيء باق منك الّا أسطرا ... خلدت بحسن الصّوغ والتبيان
بيروت هذا من بلغت من العلى ... بمكانه السّامي في اعزّ مكان
كانت لنا بالقرب منه سلوة ... فازالها هذا الفراق الثاني
اى نعشه فيك المغاف مشيعا ... والعلم مبكيًا بكل جنان"

ومنهم صديقه ابراهيم الحوراني الذي قال فيه: (٤)

"لم يبق بعد اليازجيّ لرائد ... من نجعة غير السّرى في البلقع
عقد اللسان عن البيان وعقده ... نثرت فرائده الحسان كدمعي
لك يا ابن ناصيف بن عبد الله في ... نسب العلا آى الدليل المقنع
يا ساكن الرّمس الذي اقصيته ... ودنا بطيّب نشره المتضوّع

---

(١) "الثريا"، س ٥، ص ٤١٤ و "تراجم مشاهير الشرق" ج ٢، ص ١٤٧.

(٢) "تراجم مشاهير الشرق"، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) مطران خليل، "ديوان الخليل"، ج ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧، ص ٢٦ و ٣٠. وانظر: "المسرّة"، المجلد الرابع، حريصا، لبنان، ١٩١٣، ص ٧٦.

(٤) "المقتطف"، المجلد ٣٢، القاهرة ١٩٠٧، ص ٨٩ و ٩٠.
و "المورد الصافي"، المجلد الثاني، بيروت، ١٩١٠، ص ٧٣.

اعطيت مصر النّفس غير مطالب　　فتمسّكت بنزيلها المتبرّع."

وفي عام ١٩٢٤ اقيم له نصب تذكاري في بيروت ، وكان خليل مطران حاضرا الحفل الذي اقيم لكشف النقاب عن هذا النّصب فانشد قصيدة جاء فيها : (١)

" عد لابسا ثوب الخلود وعلّم　　بفم المثال الصّامت المتكلّم
امحرّر العربية الفصحى التي　　اخلصتها من شائبات المعجم
هل زاد عن امّ اللّغات ابن لها　　كزيادك الحرّ البليغ المفحم
في النثر او في النظم صوغك محكم　　فوق الظّنون فلا مزيد لمحكم
حتى قضت لك امة شرّفتها　　حيّا وميتا بالمقام الاعظم".

مواهبه :

كان الشيخ ابراهيم ذا مواهب متعدّدة. فهو، بالاضافة الى مواهبه اللغويّة والادبيّة والصّحافية ، قد برع في علم الهيئة ( الفلك ) واصطنع روزنامة عربيّة وقد انتدبته جمعيات فلكيّة لينتظم في عضويّتها . (٢)

ولع بالطباعة منذ صغره وحين شبّ اصطنع حروفا للطباعة العربيّة ببيروت فحفرها وادخل الى طباعتها صورا للحركات الافرنجيّة التي لا مقابل لها في اللّغة العربيّة والتي يحتاج اليها المعرّبون . (٣)

وقد عرف عنه انه برع في الصناعة اليدويّة فعمل في صناعة التصوير الشمسي والرسم بالالوان الزيتيّة. وقد ذكر الشيخ ابراهيم للاستاذ محمّد كرد على انه لو كان له الخيار لآثر ان يكون رسّاما مصورا ، (٤) وقد صوّر ذاته نقلا عن صورته في

---

(١) " ديوان الخليل" ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
(٢) " الهلال" ، مجلّد ١٥ ، ص ٢٦٦ .
(٣) انظر هذه الحركات في " الضياء" ، المجلد الثاني ، ص ٥١٦ — ٥١٧ .
(٤) " المقتطف" ١٩٠٨ ، ص ٦٣٥ .
و " المجمع العلمي العربي" ، المجلّد ٢٨ ، ص ٣ ، ٤ .

المرآة وصوّر والده وبعض اخوته . وكان ماهرا بالضرب على الآلات الموسيقية ، كما عرف بجوده خطّه وجماله . (١)

ويلاحظ انه رغم ولعه الشّديد بالفنون والصناعة اليدويّة فقد انصرف الشيخ ابراهيم الى خدمة اللّسان العربي شأنه في ذلك شأن والده الشيخ ناصيف .

صفـــــاته : (٢)

يذكر معاصره جرجي زيدان انه كان عصبيّ المزاج ، سريع الخاطر ، حلـــو المفاكهة ، شديد الحرص على كرامته . عاش متعفّفا بطعامه وشرابه ، وكان مولعا بتدخين " الشيشة" في اثناء الكتابة . عاش مقلاً متقشّفا ولم يطرق ابواب اصحاب المال ليستعين بهم على ما يضطلع به فعاش عزيز النفس وهو الذى لو اراد الارتزاق لكان له من مهارته الفنيّة خير معين على الكسب المادى ، لكنه وقف حياته في سبيل خدمة لغته العربية . عُرف عنه حبّه الاتقان ، فكان يكتب المقالة او ينظم القصيدة ثم يتركها اياما ويعود اليها فيهذّبها ثم يقدّمها الى المطبعة بعد ان يكون قد كرّر النظر فيها ودوّنها بخطّ جميل . كان صادقا في معاملته لا يحلف ولا يخلف ، امينا في ما ينقل او يقتبس من الآراء والاقوال . عرف عنه اخلاصه للحقيقة العلميّة وتجرّده ،(٣) وقد خدم اسم ابيه وزاد في شهرته بما أتمّه من آثاره ، فكان برّا به .

---

(١) " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .
" المقتطف" ، ١٩٠٨ ، ص ٥٥٧ .
" المجمع العلمي العربي" ، مجلّد ٢٨ ، ص ١٦ .

(٣) انظر: اليازجي ، ناصيف : " القرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيب" ، بيروت ١٨٨٧ ، ص ٣ ، ٧ حيث يشير الى اخلاصه هذا وتجرّده .

## نشاطاته الادبيّة واللغويّة

### أ ــ في المناظرات والمقالات

لعلّ اشهر جهود الشيخ ابراهيم اليازجي العلنيّة (١) في شبابه ، المناظرة اللغوية التي جرت سجالا بينه وبين الشيخ احمد فارس الشدياق على صفحات مجلة " الجنان". (٢) وكان مفتاح هذه المناظرة لفظة " الفِطَحل" التي وردت محرّفة في كتاب " مجمع البحرين" للشيخ ناصيف اليازجي والد شيخنا ابراهيم. ويبدو ان التحريف وورود هذه اللفظة على صورة " فحطل" بدلا من " فَطحل" كان لغلط مطبعي . والملاحَظ ان الشدياق اغتنم وفاة الشيخ ناصيف منافِسه في الصحافة والادب واللّغة ففجّر حقدا دفينا اتّخذ من هذه اللفظة المحرّفة ذريعة له . فهبّ الشيخ ابراهيم الشاب يقارع قمّة لغويّة وعَلما من اعلام عصره ــ الشيخ احمد فارس الشدياق ــ برّا بابيه واثباتا للحقيقة . ولقد عدت الى كتاب " مجمع البحرين" ــ طبعة ١٩٢٤ ، فوجدت اللفظة مصححة على صورة " فطحل"، وذلك في معرض القول : ". . . يذكّرني زمن الفطحل وينجز الوعد بالمطل". (٣)

ومتتبّع هذه المناظرة اللغويّة الطريفة على صفحات " الجنان" ، يلاحظ ان الشيخ ابراهيم نفى ورود الخطأ في النسخة الاصلية من " مجمع البحرين". قال : " كشفت في النسخة الاصلية التي بخطّه ( بخطّ ناصيف ابيه ) . . . فلم اجد لذلك من اثر وانّما هو غلط في الطبع". (٤) ولقد راجعت قاموس " لسان العرب" فلم اقع على اثر للفظة " فِحطل" التي اثارت الشيخ الشدياق ، وانّما عثرت على لفظة " فطحل"

---

(١) كان نشاطه في " الجمعيّة العلميّة السوريّة" نشاطا سريّا .

(٢) " الجنان"، سنة ١٨٧١ ، ص ٤٠٨، ٥٢٢، ٧٢٩، ٧٦٥، ٨٠٦، ٨٣٥ ، ٨٤٢، . . . وغيرها .

(٣) انظر : اليازجي ، ناصيف : " مجمع البحرين" ( المقامة الانطاكيّة ) ــ مكتبة صادر ، بيروت ١٩٢٤ ، ص ٢١٤ .

(٤) " الجنان" ، سنة ١٨٧١ ، ص ٤١٠ .

التي لم ينكرها الشيخ ابراهيم الذى كان اديبا في اشارته الى الاخطاء في كتب الشدياق ليبيّن له ان الخطأ محتمل وقوعه ، وبخاصة اذا كان خطأ طباعيا . وقد ذكر الشيخ ابراهيم في معرض ردّه على الشدياق — صاحب " الجوائب " — انّه سيعمد الى " سرّ اللّيال في القلب والا بدال " — وهو مؤلف لغوى للشدياق — ليخطّئه وينشر اغلاطه ليحكم عليها العلماء . (١) الّا ان الشدياق كان شتّاما فردّ عليه بكلمات سفيهة ، لم يجد الشيخ ابراهيم ان الامر يستأهلها . (٢) ولد ماثة خلقه وتجنّبه الشتم انسحابا اديبا بعد ان تصدّى للشدياق بجدارة . قال : " وهنا اريد ان اقول ان هذه المناقشة كلها لم تكن منّي عن رغبة ورضى ولا انا ممن يتهافتون الى التخطئة والانتقاد . . . فامّا الآن وقد عدل ( يقصد الشدياق ) الى ما عدل اليه وقد بيّنت للواقف على هذه المناقشة مبلغ ما عنده من العلم فلا يلزمني بعدها مساجلته ومناظرته ." (٣) وختم قوله ببيتين من الشعر يشهدان بدماثة اخلاقه :

ليس الوقيعة من شأني فان عرضتْ
اعرضتُ عنها بوجه بالحياء نَدِى
انّي اضنّ بعرضي ان يلمّ به
غيري ، فهل اتولّى خرقه بيدى" . (٤)

واعتقد انّ هذه المناظرة كانت ذات فائدة كبيرة للشيخ ابراهيم اليازجي من حيث اذاعتها لشهرته في مطلع شبابه اولا ، وجعله اكثر حذرا في كلّ ما يكتب .

---

(١) انظر قوله في " النجاح " ، بيروت ١٨٧٢ ، ص ٨٨ ( اعيد نشر المناقشة في " النجاح " )

(٢) نفسه ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) " الجنان " ، سنة ١٨٧١ ، ص ٨٤٢ .

(٤) نفسه ، وانظر ديوانه " العقد " ، ص ٨٠ .

اثارت هذه المناقشة اللّغوية ردود فعل عديدة من قبل لغويّين منهم ميخائيل عبد السيّد (١) الذي ردّ على ابراهيم اليازجي فوقف مع الشدياق في كتاب " سلوان الشجّي في الردّ على ابراهيم اليازجي ". (٢)

وفي هذا الكتاب يتعرّض (٣) المؤلف لصاحب " الجنان " ـ المعلم بطرس البستاني ـ ثم يدفع التهم اللّغوية التي وجّهها ابراهيم اليازجي الى صاحب " الجوائب " ـ الشدياق ـ وذلك عن طريق اثبات صحّتها . فهو ـ مثلا ـ يدفع عن الشدياق تهمة انكار اليازجي الواو في قول صاحب الجوائب : " ما من شاعر قال شعرا الّا واخذ عليه "، حيث يستشهد بالشعر والنثر والقرآن الكريم ليدعم رأيه . (٤) ولا يكتفي صاحبنا بذلك ، بل يذكر الذين مدحوا " الجوائب " من العرب والغربيّين ، فيستشهد بما قالته احدى صحف لندرة (٥) من انّ " الجوائب هي افضل بكثير من أيّة صحيفة عربيّة اخرى في الشرق " :

"The Djwaib by far the best Arabic paper in the East".

ويتعرّض المؤلف كذلك لناصيف اليازجي ولاخطائه التي يزعم انه ارتكبها في مقاماته . (٦) ولا يفوتني ان اذكر ان صاحب " سلوان الشجّي . . . " يبرّر سبب تأليفه هذا الكتاب فيقول : " وحيث رأيت السكوت من طرف صاحب الجوائب حرّكتني

---

(١) كان معلّما للّغة الانجليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة .

(٢) عبد السيّد ميخايل : " سلوان الشجّي في الردّ على ابراهيم اليازجي " ، مطبعة الجوائب ، الآستانة ١٢٨٩ هـ .

(٣) نفسه ، راجع على سبيل المثال ص ٣ ، ٤ ، ٥ من الكتاب .

(٤) نفسه ، ص ٩٥ — ٩٨ .

(٥) انظر ص ١٠٦ وما بعدها من الكتاب وراجع ص ١٠٨ .

(٦) نفسه ، راجع ص ٨ وما بعدها .

يد الغيرة على مقامه الكريم وعلى الانتصار للحقّ الى ان اتصدّى للرّد على ابراهيم . . . وأبيّن ما في كلامه من الخلل والفساد . . . فان لم يقنع بما اوردته فبيني وبينه العلماء يحكمون بيننا" . ( ١ ) ويتمرّض مخايل عبد السيّد لذكر اخطاء ابراهيم اليازجي اللغويّة مستشهدا بما ورد في المعاجم . ( ٢ )

ب — في وضع المصطلحات

لمّا كان الكثير من البحوث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يعالج موضوعات مستحدثة تشمل معاني حضارية طارئة ضاقت بها مفردات اللغة العربيّة ، احتال الباحثون على اداء هذه المعاني باساليب شتّى . فلجأوا الى الوضع حينا والى المجاز حينا آخر والى التعريب حينا ثالثا . وكان ابرزهم في هذا المجال الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور يعقوب صرّوف .

كان يُحزن الشيخ ابراهيم ان لا تفي اللّغة العربيّة بمطالب العلم في عصره ( ٣ ) ولذا وجّه اهتمامه نحو انتقاء الفاظ اصطلاحية لما أُحدث من المعاني بنقل العلوم الحديثة الى اللّغة العربيّة . ولانه كان حريصا على اصالة العربيّة لم يكن يقبل من اللّفظ الدّخيل الاّ ما يطمئنّ اليه بعد طول بحث او ما يجمع اهل العلم والتنقيب عليه ، وذلك بعد عدم تمكّنه من الوقوع على اللفظ الاصيل المناسب . وهذا جدول بالالفاظ التي عرّبها : ( ٤ )

---

( ١ ) عبد السيّد مخايل : " سلوان الشّجي في الردّ على ابراهيم اليازجي" ، مطبعة الجوائب ، الآستانة ١٢٨٩ هـ . ص ١٢ .

( ٢ ) نفسه ، ص ١٠٥ .

( ٣ ) " المجمع العلمي العربي" ، المجلّد ٢٨ ، ص ٢ .

( ٤ ) " الضياء " ، المجلّد الثاني ، ص ٧١٠ — ٧١٢ .
وجاء في الصفحتين ٥١٦ و ٥١٧ من مجلّد " الضياء" الآنف الذكر مصطلحات كتابية للاصوات التي نحتاج اليها في التعريب والتي يفتقر اليها نظامنا الكتابي العربي ، منها : الحركة التي بين الضمّ والفتح ( o ) تكتب هكذا ( ◌ٗ ) ، والتي بين الكسر والفتح ( e′ ) تكتب هكذا ( ◌ٙ ) ، والتي بين الضمّ والكسر ( ɯ ) تكتب هكذا ( ◌ٛ ) ، والجامعة للحركات الثلاث ( eu ) تكتب هكذا ( ◌ٜ ) .

| | | |
|---|---|---|
| الاربة | Cravate | الشبنزى Chimpanze |
| الاستمهاد | Assurance | الشحنة Police |
| الاسرب | Plombagine | الشعار Armoiries |
| الاسموبيات | Bacilles | الشعرية Brosse |
| البائنة | Dot | الضلع Fuseau |
| البيئة | Milieu | الطارئة Colonie |
| التألّق | Phosphorescence | الطبرخي Gutta-percha |
| التبليد | Acclimatation | الطلاء Vernis |
| الجناح | Balcon | الكفاف Cadre |
| الحاكي | Phonographe | اللّهاة Valve |
| الحساء | Soupe | اللّولب vis |
| الحسر | Myopie | المأساة Tragedie |
| الحوذيّ | Cocher | المتمجات Vibrions |
| الدرّاجة | Bicyclette | المجلّة Revue |
| الدريئة | Ecran | المحبّب Granit |
| الذريرات | Microcoques | المصلّد Impermeable |
| الراجبيات | Bacteries | المقصف Buffet |
| الرثية | Rhumatisme | المقصلة Guillotine |
| الرعّاد | Torpille | المنضحة Douche |
| السفع | Taches (du soleil) | النّابض Ressort |
| الشارى | Paratonnere | |

وبالاضافة الى هذا ، فقد أقرّ مصطلحات اخرى وضعها غيره ، اهمها :

| | | | |
|---|---|---|---|
| الاشتراك | Abonnement | المدفع | Canon |
| البطاقة | Carte | المرقب | Telescope |
| البهو | Salon | المسدس | Revolver |
| الثقاب | Allumette | المضخّة | Pompe |
| الردهـــة | Salle | النسّاف | Dinamite |
| الرقّاص | Pendule | | |

ولقد قدّر لكثير من هذه المصطلحات التي وضعها او اقرّها ان تروق لاذواق الناس وتحظى بموافقتهم فيستعملوها وتشيع بينهم ، وذلك لما تتّسم به من دقّة الدلالة وسلاسة اللفظ : كالبائنة ، والبيئة ، والحسا ، والحوذى ، واللهاة ، واللّولب ، والمجلّة ، والمقص والمقصلة ، والبطاقة ، والبهو ، والثّقاب ، والرّدهة ، والرقّاص ، والمدفع ، والمسدّس والمضخّة . ولقد تحّريت معاني هذه الالفاظ في " لسان العرب "(١) و " تاج العروس "(٢) فتبين لي مدى التوفيق الذى اصابه الشيخ ابراهيم في وضعها او اقرارها .

اما المصطلحات الاخرى التي لم تشع في الاستعمال كالاربة والاستعهاد والراجبيات والرشية وغيرها ، فيعود عدم شيوعها امّا الى غرابتها او الى توفّق غيره من الباحثين في ابتداع ما هو انسب منها .

ومهما يكن من امر هذه المصطلحات ، فانّه يبدو ان الشيخ ابراهيم كان متشددا في اختيار الالفاظ العربية الموافقة لمصطلحات حديثة ، ذلك لانّه كان حريصا على ان

---

(١) ابن منظور ، " لسان العرب " ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ١٩٥٦ .

(٢) الزبيدى ، " تاج العروس من جواهر القاموس " ، مصر ١٣٠٦ هـ .

تكون هذه المصطلحات مرتكزة على اصول عربيّة صحيحة ، ولقد ساعدته ثقافته اللغويّة الواسعة على تحقيق ما كان حريصا عليه .

جـ — في التنقيح والمراجعة :

١ — تنقيح عبارة التوراة العربيّة

دعا الآباء اليسوعيّون الشيخ ابراهيم اليازجي الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معه في تعريب الكتاب المقدس. وكان الاب اوغسطين رودہ (Aug. Rodet) الذى درس العربيّة في الجزائر ينقل الاسفار . . . فاذا اتمّ عمله نظر فيه الشيخ ابراهيم مدققا في المعرّب مبديا ملاحظاته ثمّ يتفاوض مع الاب رودہ و " يعرضان عملهما على اربعة اساتذة من الآباء المتضلّعين بالعلوم الدينيّة ومعرفة اللّغات الشرقيّة فلا يطبع شيء الّا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة" . (١) وقد انحصر عمل الشيخ ابراهيم في هذا المجال بتصحيحه عبارة الترجمة وتثقيفها اللّغوى . (٢) اما النسخ الاصلية التي اعتمدت في التعريب فكانت العبرانية واليونانية والسريانية والنسخة اللاتينية التي يعود عليها معوّل الكنيسة الكاثوليكية . (٣) لذا ، ولحرصه على دقّة الترجمة ، اضطر الشيخ ابراهيم الى ان يدرس بعض اللّغات الساميّة كالعبرية والسريانية والى ان يستعين بمن يعرف اليونانية . (٤) وبعد عمل حثيث استغرق نحو تسع سنوات (٥) في غزير وبيروت جاءت ترجمة التوراة بعد ان اسهم فيها الشيخ ونقّح عباراتها " اصحّ ترجمات التوراة العربية لفة وافصحها عبارة واجزلها اسلوبا . . . وفيها خدمة كبرى في ضبط

---

(١) " الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر" ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٢) نفسه ، ص ٥ وانظر " تاريخ آداب اللغة العربية" ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

(٣) نفسه .

(٤) " الغرر التاريخية" ، ج ١ ، ص ٦٢ — " المجمع العلمي العربي" ، المجلد ٢٨ ، ص ٤ .

(٥) " الآداب العربية في القرن التاسع عشر" ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
و " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

لغة المسيحيين لاكتساب الملكة الصحيحة بمطالعتها من صغرهم "(١) وذلك بشهادة جرجي زيدان . ولعلّ براعة الشيخ ابراهيم اللّغوية المعروفة وطول مراسه في ترجمة التوراة(٢) دليل على قيمة هذا العمل وجودته .

٢ — مراجعة كتاب " عقود الدّرر في شرح شواهد المختصر. (٣)

ساعد الشيخ ابراهيم اليازجي مؤلف هذا الكتاب — المعلّم شاهين عطيّة . . . " في تحرير اللّغة ومعاني بعض الابيات ممّا التبست حقائقه على كثير من اهل التحصيل ، وتحقيق رواية بعض الابيات ممّا اختلفت فيه الروايات بما تداورها من التحريف والتبديل ."(٤) وهذا الكتاب منسّق بحسب الحرف الاول من اوّل كلمة في الشاهد ،اي ان الشواهد المشروحة مرتّبة ترتيبا ابجديا بحسب الحرف الاول من اوّل كلمة واردة في الشاهد المنوى شرحه .

فالشاهد . . .

ابا خراشة أما انت ذا نفر

فأنّ قومي لم تأكلهم الضّبع

. . . وهو الشاهد الاول — تجده في حرف الهمزة ، وهكذا دواليك . وامّا التركيز ، في اثناء شرح الشواهد ، فيكون على ما يلي : قائل البيت المشروح — غريب البيت — اعرابه — معناه — شاهده ( قاعدته اللّغوية ) وهذا الكتاب كلاسيكي من حيث عنوانه وموضوعه ومنهجه ،الاّ انّه يشهد بمقدرة ابراهيم اليازجي اللّغويّة .

---

(١) " تراجم مشاهير الشرق " ،ج ٢ ، ص ١٤٦ و ١٦٤ .

(٢) انظر " الضياء" ، السنة الاولى ١٨٩٨ — ١٨٩٦ ، ص ٤٦٧ وما بعدها .

(٣) عطيّة ،المعلّم شاهين : عقود الدّرر في شرح شواهد المختصر" ،وقف عليه وهذّبه الشيخ ابراهيم اليازجي ، بيروت ١٨٨٧ — ١٨٨٨ م .

(٤) نفسه ، ص ٢ ،وانظر : " الهلال " ،مجلّد ١٥ ،ص ٢٧٧ — ٢٧٨ .

٣ — التعليق (١) على "محيط المحيط" للمعلّم بطرس البستاني

اهتمّ الشيخ ابراهيم اليازجي بالقواميس ، ولقد بلغ من اهتمامه بها انّه حاول تأليف معجم — كما اسلفنا — . قرأ الشيخ ابراهيم "محيط المحيط" ، قاموس المعلّم بطرس البستاني ، قراءة دقيقة ، وابدى ملاحظاته عليه ، واشار الى مصادر لغويّة قديمة واستشهد بشواهد شعريّة ليؤكد هذه الملاحظات. (٢)

ويلاحظ ذوق الشيخ ابراهيم في معرض ملاحظاته ونقده ، وذلك حين نقد لفظة "أرّاها" الواردة في قول صاحب "المحيط" : "أرّش النار . . . أي أرّاها" فقد انتقد الشيخ هذه اللفظة لانّه رأى ان يفسّر اللفظ الغريب بلفظ مأنوس مثل ذكّاها واوقدها (النّار) . (٣) ومثل آخر على ملاحظات اليازجي التي تشهد له بالاطلاع اللغوي ودقّة الملاحظة ، ما اورده على ما جاء في متن "المحيط" : "وأبّت ابابته" من انه يجوز القول "وإبابته" بالكسر ايضا . (٤)

ان جهود اليازجي في مؤلفه هذا الدليل آخر على اهتمامه الشديد باللّغة العربيّة وشؤونها .

ولقد صحّح الشيخ ابراهيم كتبا اخرى ونقّح عباراتها ، منها : (٥)

— "الفرائد الدريّة" وهو معجم عربي — فرنسي .

— "تاريخ آشور وبابل" لجميل المدوّر .

— "رسالة الغفران" للمعرّي .

---

(١) اليازجي ، ابراهيم : "تنبيهات اليازجي على محيط البستاني" ، جمعها وحلّ رموزها الدكتور سليم شمعون وجبران النحاس ، الاسكندرية ١٩٣٣ .

(٢) نفسه ، انظر — مثلا — ص ٥٢ — ٥٣ .

(٣) نفسه ، ص ٣٩ .

(٤) نفسه ، ص ٧ .

(٥) انظر : "تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .
وداغر ، يوسف اسعد : "مصادر الدراسة الادبيّة" ، ج ٢ ، بيروت ١٩٥٦ ص ٧٦٠ — ٧٦١ .

د — في الشرح والتعليق

١ — "مطالع السّعد لمطالع الجوهر الفرد". (١)

وهو عبارة عن شرح الشيخ ابراهيم لكتاب "الجوهر الفرد" الذي ألّفه والده الشيخ ناصيف وجمع فيه "قواعد الصرف والنحو على اسلوب شديد الاختصار" على حد قول الشيخ ابراهيم. يقسم هذا الكتاب، ذو الاسلوب السهل، الى بابين: يبحث اوّلهما في الصرف والثاني في النّحو. ويلاحَظ ان كلام كلّ من المؤلف والشارح ممزوج بعضه ببعض.

والكتاب صغير الحجم طُبعت كلماته بلونين: اسود واحمر، بحيث يظهر اللّون الاحمر ما يودّ الشارح لفت انتباه القارئ اليه. ومنهج تأليفه كلاسيكي على طريقة النّحاة القدماء في ايراد الامثلة والشرح، وهو دليل على براعة الشيـــخ ابراهيم اللغويّة وعلى اهتمامه اللّغوي.

٢ — "العَرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب. (٢)

كان الشيخ ناصيف اليازجي قد شرع في شرح ديوان المتنبّي ولم يكمله. ولقد ذكر نجله الشيخ ابراهيم ان والده شرع في التعليق على هامش نسخة من ديوان المتنبّي بما كان يخطر له من تفسير او اعراب او شرح ... او ذِكر تراجم بعض الممدوحين، دون ان يتتبّع ابيات الديوان متتالية". (٣) ويلاحَظ من كلام الشيخ ابراهيم ان ما قام به والده في هذا الشرح قليل بالقياس الى الشرح الكامل الذي اصدره الشيخ ابراهيم نفسه. ولا يمكنني ان اتعرّف الى ما كتبه الشيخ ناصيف وما زاد عليه نجله الشيخ ابراهيم، ذلك لان النسخة التي دوّن عليها الشيخ ناصيف

---

(١) اليازجي، ابراهيم: "مطالع السّعد لمطالع الجوهر الفرد"، مطبعة المرسلين اليسوعيين، بيروت ١٨٧٥م.

(٢) اليازجي، ناصيف: "العَرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب"، بيروت ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧م).

(٣) نفسه، ص ٦٢٥.

ملاحظاته ليست متوفرة لدي .

فرغ الشيخ ابراهيم من عمله في شرح الديوان المذكور في " اواخر شهر آذار من سنة ١٨٨٧م"، (١) ولانّه كان برّا بابيه ، فقد ابقى عنوان الشرح باسم والده وهو يقول في هذا الامر : " . . . ومعاذ الله ان ادّعي لنفسي في جنبه فضلا او علما فانّي انّما اهتديت بمناره واقتديت بآثاره وانّه لاعلم لي الاّ ما علّمني". (٢)

وحرصا من الشيخ ابراهيم على ان تسلم ابيات الديوان " صا يشان" من الالفاظ والمعاني اضطرّ الى حذف بعض ابيات الديوان وتبديل بعض الالفاظ في ابيات قليلة . (٣) ولقد اضاف في آخر الشرح فصلا في النقد اللّغوي والادبي يدور حول شعر المتنبّي ، وهذا الفصل يشهد له بسعة اطّلاعه وبموضوعيّته في البحث .

ولقد ذكر الشيخ ابراهيم ان المتنبّي كان يتوخّى طريقة ابي تمّام في النّظم اعجابا به . (٤) ومن ثَم فهو يرى في شعر المتنبّي تكلّفا وتعقيدا يوجبان شرحه . (٥) واما منهج الشيخ ابراهيم في الشرح ، فكان تفسير وجه الغرابة في البيت الشعري ، واعراب المشكل من تراكيبه . (٦)

واطّلاع الشيخ ابراهيم الواسع على الشعر القديم مكّنه من العثور على ابيات للمتنبّي تُروى له في كتب الادب ولم يشتمل عليها ديوانه — كما يشير — فشرحها وكان له فضل إظهارها في الديوان . (٧)

---

(١) اليازجي ، ناصيف : " العَرف الطّيب في شرح ديوان ابي الطّيّب"، بيروت ١٣٠٥ هـ ( ١٨٨٧م) ، ص ٧٠٣ يذكر معاصره زيدان انه اتمه شرحا وطبعا في اربع سنوات. " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ص ١٤٦ .

(٢) نفسه ، ص ٦٢٧ .

(٣) نفسه ، ص ٦٣٥ .

(٤) " العرف الطيب . . ." ، ص ٦٦٦ .

(٥) نفسه ، ص ٧٠٣ .

(٦) نفسه ، ص ٦٢٦ .

(٧) نفسه ، ص ٦٣٦ — ٦٥١ والامثلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

وقد لاحظت خلال مطالعتي شرح اليازجي لديوان المتنبّي ان الشيخ ابراهيم قد اطّلع على شرح الواحدي لهذا الديوان المعروف ، ووقفت على اشارات واضحة تشير الى ذلك . (١) ولم اكتف بهذه الاشارات الواضحة بل عمدت الى المقابلة بين الشرحين ، فوقفت على اوجه تشابه عديدة اثبتّها في جدول يتبع هذا الكلام ، ثمّ عرضت — على سبيل المثال لا الحصر — اربعة ابيات ذيّلتها بشروح الواحدي واليازجي مظهرا التشابه الكبير بينها . وليس بصعب على من يودّ ان يراجع غير هذه الابيات الاربعة ان يعود الى الجدول المذكور سابقا ليتحقق من مدى التوافق بين الشرحين .

| "شرح الواحدي" | "العرف الطيّب" | مطلع البيت |
|---|---|---|
| ص | ص | |
| ٥ | ٣ | روح تـــردّد |
| ١٥ | ٧ | ومكرمـــــات |
| ٢٥ | ١٢ | ها فانظـــرى |
| ٢٥ | ١٣ | ايقنت أنّ |
| ٢٧ | ١٤ | وضاقت الارض |
| ٣١ | ١٥ | تحمل المسك |
| ٣٢ | ٩ | وخضـــــرة |
| ٣٢ | ١٦ | ما مقامـــي |
| ٣٢ | ١٦ | مفرشي صهـــوة |
| ٩٧ | ٥٤ | بلد اقمـــت |
| ١٠١ | ٥٦ | فان تقل هـــا |
| ١٠٧ | ٦٠ | لم أجـــر |
| ١٠٨ | ٦٠ | ورمى ما رمتـــا |
| ١٠٩ | ٦١ | وفشت سرائرنا |

(١) "العرف الطيب . . ." ، انظر مثلا ، ص ٦٣٦ ، ٦٥٣ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٩٥ ، ٦٩٨ . . . وغيرها .

| مطلع البيت | "العرف الطيّب" ص | "شرح الواحدي" ص |
|---|---|---|
| لما تقطّمت | ٦١ | ١٠٦ |
| نازعته قلص الرّكاب. | ٦١ | ١١٠ |
| وكأنما عيسى بن مريم | ٦٧ | ١١٧ |
| واذا لقوا | ٦٨ | ١١٩ |
| سل الهدر | ٧٠ | ١٢٣—١٢٤ |
| وليل دجوجي | ٧١ | ١٢٣ |
| وتنكر موتهم | ٧٤ | ١٢٨ |
| ونكهتها ... والمندليّ | ٧٤ | ١٢٩ |
| وقوفين في وقفين | ١٠٣ | ١٦٦ |
| كرما فلو حدّثته | ١٠٧ | ١٧٤ |
| لا افتخار | ١٦٣ | ٢٤٥ |
| يتمشّرن بالروؤس | ١٦٦ | ٢٤٨ |
| وهجان على هجان | ٢١٢ | ٣٠٧—٣٠٨ |
| فقد اضحى | ٢٤٧ | ٣٥٦ |
| واحسن من ماء الشبيبة | ٢٦٤ | ٣٧٩ |
| حتّى اصاب من الدنيا | ٤٨٣ | ٦٣٦ |
| خطت تحته العيس | ٤٩٤ | ٦٥٠ |
| فهنّ يضربن على التّصهال | ٦١٣ | ٧١٤ |
| اتتركني وعين الشّمس | ٦٢٠ | ٨٠٢ |

وزيادة في الايضاح اورد النماذج التالية التي يتبيّن منها بجلاء مدى التوافق بين الشرحين :

( ١ ) البيت : لمّا تقطّعت الحمول تقطّعت/ نفسي أسى وكأنّهنّ طلوح ( ١ )

شرح الواحدى : " الحمول الاحمال على الابل ويريد بها الابل . . . يقول لمّا تفرّقت سائرة تقطّعت نفسي وجدا . . . والعرب تشبّه الابل وعليها الهوادج والاحمال بالاشجار . . . "( ١ )

شرح اليازجي في الصرف : " الحمول الاحمال على الابل ويريد بها الابل التي حملتها . . . والعرب تشبّه الابل وعليها الاحمال والهوادج بالاشجار . . . اى لمّا تفرّقت الحمول للمسير . . . تقطّعت نفسي من الحزن" . ( ٢ )

( ٢ ) البيت : وقوفين في وقفين شكر ونائـــل/ فنائله وقف وشكرهم وقـف .

شرح الواحدى : " نصب وقوفين على الحال . . . والعامل فيه يفدّونه كقولك رأيتك راكبين اى انا راكب وانت راكب ويريد بالوقوف الواقف وهو مصدر . . . اراد : الناس والممدوح فريقان واقفان في شيئين وقفين . . . والمعنى انه ابدا يعطي والناس ابدا يشكرونه" . ( ٣ )

شرح اليازجي في الصرف : " وقوفين حال من الضمير في يفدّونه كما في قولك لقيته راكبين اى وانا راكب وهو راكب . واراد بالوقوف الواقف على وضع المصدر . . . اى انّ الناس والممدوح فريقان قد وقفا في شيئين . . . يعني انه ابدا يعطى

---

( ١ ) انظر شرح الواحدى ، ص ١٠٩ .

( ٢ ) انظر شرح اليازجي ، ص ٦١ .

( ٣ ) انظر شرح الواحدى ، ص ١٦٩ .

والناس ابدا يشكرونه". (١)

فالتشابه في الشرحين هنا ايضا ،لا يخفى .

(٣) البيت : لا افتخار الّا لمن لا يضـام/ مدرك او محارب لا ينـام

شرح الواحدى : " . . . يقول لا فخر الّا لمن لا يظلم بامتناعه عن الظّلم بقوّته وهو اما مدرك ما طلب او محارب لا ينام ولا يغفل حتّى يدرك ما يطلبه". (٢)

شرح اليازجي في العرف : " . . . يقول لا فخر الّا لمن لا يظلم لامتناعه وقوّته على دفع الظلم عن نفسه وهو امّا مدرك ما طلب او محارب لا ينام عن مطلوبه حتّى يناله". (٣)

فرغم تغيير اليازجي لبعض الالفاظ ،فان في كلا الشرحين تشابها واضحا يدعم رأيي السابق بان اليازجي اطّلع على شرح الواحدي وربّما اخذ عنه .

(٤) البيت : فهنّ يضربن على التّصهال/ كلّ عليل فوقها مختال

شرح الواحدى : " يقول والخيل تُضرب على الصّهل تأديبا لها وفوقها كلّ رجل عليل في سكونه وتصاغره هيبة لعضد الدولة وهو في نفسه وهمّته مختال". (٤)

شرح اليازجي في العرف : " اى فالخيل تُضرب على الصهيل تأديبا لها وفوقها كل رجل عليل في سكونه وتصاغره هيبة للممدوح وهو في نفسه وهمّته مختال". (٥)

---

(١) انظر شرح اليازجي ،ص ١٠٣ .

(٢) انظر شرح الواحدى ،ص ٢٤٥ .

(٣) انظر شرح اليازجي ،ص ١٦٣ .

(٤) انظر شرح الواحدى ،ص ٧٩٤ .

(٥) انظر شرح اليازجي ،ص ٦١٣ .

فالتشابه في الشرحين هنا واضح لا يحتاج الى اشارة ،وهذا الامر يؤكّد صحّة رأيي السابق .

وحين نعلم ان المستشرق الالماني فريدرخ ديتريصي كان قد نشر شرح الواحدى لديوان ابي الطيّب عام ١٨٦١م ،اي قبل نشر الشيخ ابراهيم اليازجي لشرحه المسمّى " المرف الطيّب" بستة وعشرين عاما ، ندرك ان الشيخ ابراهيم لا بدّ ان اطّلع على شرح الواحدي الذي نشره المستشرق ديتريصي . (١)

ولم يكتفِ الشيخ ابراهيم بشرح الديوان بل اردف بهذا الشرح فصلا نقديا في اثنتين وخمسين صفحة في " الكلام على شعر المتنبي وبيان منزلته في اندية الشعر ومحاكم النقد والتنبيه على ما له في ذلك وما عليه". (٢) وغرضه الرئيسي من ذلك هو تقييم شعر ابي الطيّب من حيث المطابقة بين الفاظه ومعانيه شأنه في ذلك شأن قدماء النقّاد العرب امثال الآمدي والجرجاني . وفي هذا الفصل النقدي يشير الشيخ الى أنّ اسماع الشرقيين لم تألف في النقد سوى الاطراء والازراء وانّه انّما قام بهذا النقد لانه اصبح في نظره " احد أركان العلم"(٣) مشيرا بذلك الى انه فهم النقد علما ذا اصول . ويرى الشيخ ان من خصائص شعر المتنبّي انه كان كثيرا ما يشير الى معانيه المتوخّاة باشارة لطيفة او بقرينة خفيّة اذا لم يتنبه لها السامع ذهب المعنى عليه وجهد نفسه في تحصيله على غير جدوى . . . اما خفاء القرينة فان تكون غير صريحة في البيت او انه يكون فهم المعنى مترتبا على فهم شيء قبله او ملاحظة شيء موطأ بعده . . . وهذا ما جعل بعض الشرّاح يفسدون معاني بعض ابيات الديوان . (٤) وخلال اظهاره علاقة اللفظ بالمعنى

---

(١) الواحدى ، ابو الحسن علي بن احمد : " شرح ديوان المتنبي" — نشره في مدينة برلين سنة ١٨٦١م فريدرخ ديتريصي .

(٢) " المرف الطيّب "، ص ٦٥٢ .

(٣) نفسه ، ص ٧٠٣

(٤) نفسه ، ص ٦٧٦ .

في شعر المتنبّي عارض الشيخ ابراهيم آراء النقّاد والشرّاح القدامى في شرح بعض الابيات العويصة متتبّعا اخطاءهم في ذلك. فعدم توجيه الالفاظ توجيها نحويا صحيحا اثر في اخطاء فهم الشرّاح المعاني المقصودة في بعض الابيات. (١) ومن اخطاء الشرّاح في رأى الشيخ ابراهيم انهم تركوا التثبت في المعاني واكتفوا بما يوافق الالفاظ دون الغوص في معاني الابيات والكشف عن كنه مراد الشاعر. (٢)

تقع في هذا الفصل النقدى على آراء يطلقها الشيخ ابراهيم اليازجي مثبتا انه ذو ثقافة ادبية عالية. من ذلك قوله ان معاني الشعر تكون في الغالب اخفى من معاني النثر وابعد تناولا لانتزاع الكثير منها من الصور الخياليّة والمجاز. (٣) على انّ استغلاق معاني بعض ابيات المتنبّي وارد في الاكثر بسبب ضعف التأليف واضطراب العبارة " لا من جهة غرابة المعاني ودقتها". (٤) ويلفت الانتباه في هذا المجال ان الشيخ ابراهيم يعطي نفسه فضل اكتشاف اسرار المعاني في بعض ابيات ديوان ابي الطيّب اذ يقول في صدد ذكره لبيت المتنبي :

يدلّ على الافكار ما انت فاعـــل

فيترك ما يخفي ويوخذ ما بـدا

" وفي هذا البيت سر لم أر في الشرّاح من أومأ اليه او تنبّه له". (٥) ومن هنا يمكننا الاستنتاج انّ الشيخ ابراهيم في دراسته النقديّة لديوان ابي الطيّب وشرحه له قد اطّلع على اعمال شرّاح مختلفين ابرزهم الواحدى الذى يكثر من ذكره. ورغم انّ اليازجي يرى بانّ المعاني الرئيسية للشعر انما تقوم في الغالب على الخيال

---

(١) " العرف الطيّب "، ص ٦٩٦ و ٦٩٨.

(٢) نفسه، ص ٦٩٩.

(٣) نفسه، ص ٦٧١.

(٤) نفسه، ص ٦٦٦.

(٥) نفسه، ص ٦٧٨.

والمجاز ، فانّه يعتقد بانّ ايغال ابي الطيّب في هذين البابين قد أدّى الى الابهام والغموض في بعض ما نظم. (١)

ويستحسن الشيخ ابراهيم بعض ابيات المتنبي لجودة تعبيرها وسبكها ووضوح مرادها وفصاحة الفاظها وزخرفتها .(٢) من ذلك قوله :

سفرت وبرقعها الفراق بصفـــرة
سترت محاجرها ولم تك برقعـــا
فكأنّها والدمع يقطر فوقها
ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصّعا (٣)

وهذا في رأى الشيخ ابراهيم اليازجي مما تناهى فيه المتنبي في الرقّـــة والرشاقة وابدع في التشبيه والتمثيل الى ما لا نهاية له في الحسن. والشيخ يستحسن بعض ابيات المتنبي كقوله :

وقفتَ وما في الموت شك لواقـف
كأنّك في جفن الرّدى وهو نائم
. . . تدوس بك الخيل الوكور على الذرى
وقد كثرت حول الوكور المطاعم. (٤)

فهو معجب بالنسج الانيق والوشي البديع وشرف المعاني ودقتها . (٥) ويرى ان شعر ابي الطّيب لو كان كلّه كمثل ما سبق من شرف المعاني وظهور اغراضها

---

(١) "العرف الطيب" ، ص ٦٧٢ .
(٢) نفسه ، ص ٦٦٠ .
(٣) نفسه .
(٤) نفسه ص ٦٦٤
(٥) "لهذا يثبت تأثّره بعمود الشعر ( راجع ص من هذا البحث) .

لما احتاج ديوانه الى الزيادة على الشرح الواحد . (١)

يحسب اليازجي ان المتنبي كان يتوخى طريقة ابي تمام في النظم اعجابا به واستعظاما لامره ، وانه حين قصرّ بعض شعره على اغراض نفسه ولم يخاطب احدا من الممدوحين ابتعد عن التصنّع وابرزَ المعاني في قوالبها التي تصوغها القريحة وتقود اليها البديهة . (٢) وهو كذلك يعتقد انه على الرغم من براعة المتنبي في صناعة الادب فانّه كان قليل النقد لشعره . فلو كان اقتصر من شعره على الجيّد وحده منقّحا ديوانه لكان سيّد الشعراء دون منازع. (٣) ويخلص الشيخ ابراهيم اليازجي الى القول ان شعر المتنبي رغم ما فيه من التكلّف والتعقيد فهو من " ارصف الكلام تعبيرا واحكمه وضعا واكثره طيّا للمعاني تحت اثناء اللفظ حتى لا يكاد يرمي بلفظة الاّ وفيها الماع الى اغراض مخصوص وتمثيل لوجه من المعنى فهو بالمتون العلميّة اشبه منه بالعبارات الشعرية". (٤) ولهذا فقد كثرت في هذا الشعر ابيات موهمه احتيج في شرحها الى مزيد نظر وتأمل في تحقيق اغراضها .

يلاحَظ من خلال هذا الفصل النقدى ان الشيخ ابراهيم اليازجي مدقّق لا يقبل المعاني الغريبة الاّ بعد التأكّد من معانيها في كتب اللّغة . فهو يأخذ على الشرّاح تسامحهم في التحقّق من معاني الالفاظ الغريبة وتفسيرهم لها بما يبدو لهم من قرائن الحال وادلّة الظنّ دون رجوعهم في هذا الامر الى كتب اللّغة . ففهم معنى البيت كثيرا ما يكون متوقّفا على فهم لفظة منه اذا اخطأ الشّارح فهم معناها ضاع المعنى . (٥) يلاحَظ ايضا ان اليازجي عميق الاطّلاع على الشعر القديم الذي

---

(١) " العرف الطيّب" ، ص ٦٦٥ .

(٢) نفسه ، ص ٦٦٦ و ٦٧٠ .

(٣) نفسه ، ص ٦٦٦ .

(٤) نفسه ، ص ٧٠٣ .

(٥) نفسه ، ص ٦٦٠ .

اورد منه امثلة خلال البحث وانه ذو اطّلاع لغوي واسع على كتب اللّغة التي تركها كبار اللّغويين كابن جنّي وابن فوزّجه . ( ١ ) وكغيره من النقّاد العرب القدماء فبهم الشيخ ابراهيم المعنى على انه ما تدلّ عليه الالفاظ منفردة او مجتمعة ، الّا انّه قصّر في الاشارة الى مسألة اندماج اللفظ بالمعنى بحيث يؤلفان وحدة مترابطة . وبينما كان النقاد العرب يحصرون نقدهم في البيت الواحد من القصيدة ولا يلتفتون الى القصيدة كوحدة متكاملة كان اليازجي يربط ما بين بيت وآخر لفهم معانيه خلال نقده الذي ارتكز على النواحي اللّغوية واللفظيّة ، وهذا ليس بغريب عن لغوي كالشيخ ابراهيم اليازجي .

وبعد ، فقد اظهر اليازجي في فصله النقدي هذا علما ودقّة وعمقا لا يستهان به بالقياس الى عصره . . . وكان بذلك من روّاد النقد العربي المعاصر .

---

( ١ ) " العرف الطيّب " ، ص ٦٨٣ ، ٦٩١ ، ٦٩٦ .

هـ — في التأليـــف

١ — ( فـي النشـــر )

أ — " نجعة الرائد وشرعه الوارد في المترادف والمتوارد ". (١)

يجمع هذا المؤلّف بجزءيه الالفاظ والتراكيب العربيّة المترادفة ، وهو يقسم الى ابواب عدّة . ومن امثلته : " يقال براءً الله الخلق وفطَرهم ، وجبلهم وخلَقهم . . . "(٢) ويقال رجل قوّى البنية ، شديد الاسر . . . خد مج الخَلق . . . "(٣)

يشبه هذا الكتاب كتابا قديما اسمه " الالفاظ الكتابيّة" لعبد الرحمن الهمذاني (٤) من حيث موضوعه . ويلاحَظ ان هذا المؤلّف اليازجي كلاسيكي هو الآخر في عنوانه ومضمونه ، وهو دليل آخر على اهتمام الشيخ ابراهيم باللّغة وشؤونها .

ب — " الفرائد الحسان من قلائد اللّســان ".

شرع الشيخ ابراهيم في وضع معجم سمّاه " الفرائد الحسان من قلائد اللّسان". ولهذا المعجم قصّة : فقد اقترح " المقتطف" في أيّار سنة ١٨٨١ على علماء العربيّة " وضع قاموس مختصر يشتمل المأنوس من كلام الاولين والضرورى من مزيدات المتأخرين"،(٥)

---

(١) اليازجي ، ابراهيم : نجعة الرّائد وشرعه الوارد في المترادف والمتوارد" ، ج ١ ، ج ٢ — مصر ١٩٠٤ — ١٩٠٥ .

(٢) نفسه ، ج ١ ، ص ١ .

(٣) نفسه ، ص ٢ .

(٤) يبدو ان الشيخ ابراهيم قد اطّلع على هذا الكتاب ، وهنالك اشارة الى هذا الامر في " الضياء" ، المجلّد ٤ ، ص ٤١٨ .

(٥) " المقتطف" ، ديسمبر ١٩١٣ ، مجلّد ٤٣ ، ص ٦٠٨ .

وقد استجاب الشيخ ابراهيم لهذا الاقتراح وبعث للمقتطف برسالة جاء فيها :
" شرعتُ في وضع كتاب من مثل ما اشير اليه في الاقتراح مقتصرا على الفصيح دون المولّد والمحدث في الاصطلاح . . . وقد وضعت الكتاب على نسق لم اكن متابعا فيه ولا مقلّدا ولا متحدّيا ممن سبقني احدا". (١) ويتابع الشيخ ابراهيم جوابه قائلا " . . . اعتبرت فيه ( اى المعجم) جانب المعاني في كلّ مادة فقدّمت منها ما حسبته الاصل في ذلك التركيب ثم الحقت به ما تفرع عنه من طريق المجاز الاقرب فالاقرب الى ان تنقطع سلسلة الترتيب . وما بقي بعد ذلك مقتضيا عن ذلك النظام ذيلته في آخر المادة وختمتها بالمشهور من الاعلام ، وكلّ ذلك على اسلوب مختصر اطّرحت فيه الوحشي من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاء ، وتجنّبت ما يستحي منه من الفاظ السّوقات وما يضاف اليها ممّا تبذأه ( هكذا وردت) نفوس الادباء . وكنت قد بلغت في تسويده الى آخر حرف الحاء المهملة . ."(٢)
ويُستشفّ من هذا ان الشيخ ابراهيم كان من دعاة تيسير اللغة باطّراح الفاظها المهجورة وغير المأنوسة . لكن هذا المعجم لم يظهر ، فقد شغلت العوائق الشيخ ابراهيم عن اتمامه و " لم تكن موادّه مجموعة كلّها بل كانت تعاليق على حواشي الكتب وبعض المذكّرات في اوراق متفرّقة لا يستطيع جمعها او تأليفها سواه فذهب الامل بظهور ذلك الكتاب". (٣)

---

(١) ، (٢) نفسه ، ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .
(٣) " تراجم مشاهير الشرق " ج ٢ ، ص ١٦٤ .

## اسلوبه النثري

ترك الشيخ ابراهيم اليازجي اعمالا نثرية كثيرة تجلّت في كتبه ومقالاته الصحفيّة.

ولعلّ حبّ الشيخ ابراهيم الاتقان انعكس على اسلوبه الكتابي فجاء على درجة عالية من الاتقان والتنسيق. فقد كان يبالغ في تنقيح ما يكتب وما كان يرسل اليه من مقالات لينشرها، ويصوغ بعضها في قوالبه اللفظية المميّزة الامر الذي طبع اعماله الكتابيّة واعمال غيره التي كان يشرف على نشرها بطابع مميّز. ان اسلوبه، في الغالب، اسلوب خطابي بليغ طويل الجمل يمكن تقسيمه، بشكل عام، الى قسمين رئيسيين:

(١) اسلوب مسجّع مطبوع بالتزويق البديعي والاكثار من الاطناب لتكرار المعاني وتأكيدها، واعتماد الاستعارة وغيرها من المحسّنات البلاغيّة. ويتجلّى هذا الاسلوب في رسائله ومقدّمات كتبه ومجلاته ومعظم مقالاته.

(٢) اسلوب مرسل صاغ فيه معظم ابحاثه التي كانت في معظمها ابحاثا لغويّة.

ولكي نلمع خصائص الاسلوب اليازجي بشكل عام سنورد امثلة مختلفة من كتبه ومجلّاته ابدأها بنماذج تمثّل النوع الاول من اسلوبه.

قال في بعض رسائله الى اصدقائه: "وصلتني تذكرة ودّك مبشّرة بانتهائك الى ذلك الثغر الذي ابتسم لمطلعك المحبوب وخلع على ثغرنا ما كان عليه من دجى الوحشة والقطوب... فاسأل الله له عافية يمحى بها اثر ذلك الاعتلال ويجمع اليها سعادة الجدّ ورخاء البال". (١) وقال في رسالة معزّيا صديقا:

"كيف يعزّى المصاب من لم يدع الدهر له فؤاد يتجلّد في وجه الشجون ولا ترك له توالي الارزاء دمعا يسعد به عبرة المحزون بل مثلي من خطب في المصيبة لسان حاله وان اخرست الخطوب لسان مقاله...". (٢)

وكتب الى صديق له جواب عتاب:

---

(١) "العقد"، ص ٩٩.

(٢) نفسه، ص ١٠٥.

" رفقا بمملوكك الذى لا يحول عن ملك يديك ولا يطيب له انقياد الّا اليك فقد اكثرت عليه من التلويح والتصريح وعرّضت قلم عتابك اىّ تصريح . "(١)

ويبدو هذا الاسلوب المسجّع المنمّق ايضا في مقدمات كتبه . وممّا قاله في مقدّمة كتابه " مطالع السّعد لمطالع الجوهر الفرد " : " الحمد لله ربّ العالمين . والصلاة والسلام على انبيائه المقّربين . واوليائه الطاهرين الطيّبين . اما بعد فهذه فوائد جليّة . ومقاصد سنيّة . خدمت بحث المتن المعروف بالجوهر الفرد للمرحوم ابي ناصيف اليازجي تغمّده الله برضوانه وافاض عليه سحائب لطفه وغفرانه . . . وقد وضعتها على اسلوب سهل صرفت في تقريب منالة الهمّة . مازجا الشرح بالمتن حتى اتّحدا كلاهما سدى ولحمة" . (٢)

وقال في مقدمة كتابه " نجعة الرائد " :

" الحمد لله الذى ترادفت سوابغ آلائه وتواردت السنة الخلق على حمد نعمائه . . وحسب الناظر ان يسّرح طرفه في بليغ منقولهاويتأمل ما جاء من البدائع في محكم فصولها . . . وما جاء بعد ذلك من اقوال مصاقع الخطباء في صدر الاسلام من مثل زياد والحجّاج وسواهما من امراء الكلام" . (٣)

وقال في مقدّمة " البيان" :

" . . . وقد خصّ الله للعلم في كل زمن رجالا يقفون في سبيله الاعمار ويصلون في خدمته آناء الليل باطراف النهار فكانوا مصابيح الظلم وهداة الامم ورافعي اعلام النجاح وناهجي معالم الفلاح" . (٤)

وذكر في مقدمة " الطبيب" :

" ولقد اتى على الشرق حين من الدهر لم يرجع للعلم فيه صدى ولم يغمر له في ربوعه منتدى بعد ان كان لاشله القدم الاولى في احراز اخطاره واليد الطولى في

---

(١) " المقد " ، ص ١١٠ .

(٢) " مطالع السّعد لمطالع الجوهر الفرد " ، ص ٢ ، ٣ .

(٣) " نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد " ، ص ب ، ج .

(٤) " البيان " ، القاهرة ١٨٩٧ — ١٨٩٨ ، ص ١ ، ٢ .

اعلاء منارة". (١)

ونلمح اسلوب الشيخ ابراهيم المسجّع كذلك في مقالاته المختلفة على صفحات "الطبيب" و "البيان" و "الضياء". ومما قاله في "الطبيب":

"... ولما ركّب اللّه في الانسان الميل الى الخلود والخوف من مفارقة الوجود ... وهو ... يودّ ان لا يكون لاجله انقضاء ولا يتولى شعله حياته انطفاء .." (٢)

وقال في "البيان" واصفا القمر:

"هو بعد الشمس ابهى الاجرام السماويّة على العموم ونكته الفلك الارضي بل اعزب ما يرى الناظر في عالم النجوم اذا استقلّ في فلكه يسبح فوق الوهاد والاكام ورأيته يتراجع مع النجم وهو مجدّ في وجهته الى الامام ... على انه ادنى العوالم من الارض مقيلا واعلقهنّ بها حبلا واقربهنّ تمثيلا، فهو صورة الارض في السماء ورفيق طيّتها الى حيث لا تدري في اجواز الفضاء وشريك بختها فيما ارصد لها من احكام القضاء ..." (٣)

وقال في "الضياء" عن مصير الارض:

"تتقلب احوال الكائنات بين عاملي الكون والفساد ويتعاقب التركيب والتحليل على كلّ موجود من الحيّ والجماد ... من ارقّ السدم الى رقة الحيوان ومن ذرّات الاثير الى دقائق الصوّان اطوار تتوالى بين عقد وانحلال ووجود واضمحلال وانما تضمحلّ الصور وتتلاشى الاشكال والمادة باقية لا تذهب منها ذرّة ولا يعرض لها التلاشي في حال ..." (٤)

---

(١) "الطبيب"، بيروت ١٨٨٤—١٨٨٥، ص ٢ .

(٢) نفسه، ص ٤٤١ .

(٣) "البيان"، ص ٢٥ .

(٤) "الضياء"، السنة الاولى، ص ٤٥٣ .

كما قال في وداع القرن التاسع عشر :

"مَن تأمل كرور الادهار وتعاقب الليل والنهار ورأى الثواني تجرّ الايام والايام تجر الاعوام والناس يذهبون بين ذلك افواجا ويمرّون فرادى وازواجا . . . وقف حائرا دهشا يتأمّل في الكائنات وفي نفسه وقد اختلط عليه الوجود بالعدم حتّى كاد يتّهم شواهد حسّه . ."(١)

وقال في الحياة :

" هي السّر الذى حارت في كشفه بصائر الحكماء ووقفت من دون كنهه مدارك العلماء فهو الظاهر الخفيّ الذى حجبت عن الوقوع عليه ثواقب الابصار والقريب البعيد الذى قصّرت دون البلوغ اليه سوابق الافكار . ."(٢)

يتضح لنا عمليا من خلال الامثلة الشواهد التي اسلفتُ ان اسلوب الشيخ ابراهيم اليازجي في رسائله ومقدمات كتبه ومجلّاته وفي مقالاته كان اسلوبا مسجّعا مطبوعا بالتلوين البديعي والاطناب . ويلاحَظ ان اليازجي التزم التسجيع والتوازن اللفظي ،ولقد بدا واضحا ميله الى انتقاء الالفاظ وسبكها سبكا محكما . وجلّي ايضا انه اعتمد المحسنات البيانية من تشابيه واستعارات في خيال طريف وسجع انيق (٣). ويبدو في هذا المجال ان الشيخ ابراهيم اليازجي قد تأثّر باسلوب ابيه النثرى الذى استوحى اسلوب المقامات كما تأثّر بالاساليب الكتابيّة التي كانت شائعة في القرن التاسع عشر ،الا ان أُناقة عبارته وتحرّره من التكلف يبعثان في اسلوبه شيئا من التميز والتجديد .

اما النوع الثاني من اسلوب اليازجي ،وهو النوع المرسل ،فيبدو جليّا في ابحاثه المختلفة ،أدبية كانت أو علمية . قال في مجال تعليقه على شعر المتنبي :

---

(١) " الضياء"، السنة الثالثة ،ص ٢٥٧ .

(٢) " الضياء"، السنة الثامنة ،ص ١

(٣) يلاحَظ ايضا ان الشيخ ابراهيم اعتمد التسجيع في اختيار عناوين كتبه مثل : " العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيّب"، و" مطالع السّعد لمطالع الجوهر الفرد" . . .

" بقي ان اذكر في هذا الموضع فصلا في الكلام على شعر المتنبي وبيان منزلته في اندية الشعر ومحاكم النقد والتنبيه على ما له في ذلك وما عليه . . . وقد افاض في ذلك شرّاح الديوان والمتكلمون عليه بما يملأ مجلّدات كثيرة . . " (١)

وقال في بحث لغوي :

" . . . واذا تفقدتَ اللّغات السامية الباقية الى اليوم وجدتَ هذا التسلسل متحققا فيها تحقّقا يقطع الريب وهو في لغتنا العربية اكثر و اظهر . . . " (٢)

وقال في بحث عن الموارنة :

" ومعلوم ان الطائفة المارونية لهذا العهد في مقدّمة الطوائف القريبة المنشأ من الجرثومة الاراميّة واثبتها على حفظ خصائصها الاصلية لانها اعتصمت منذ الازمنة القديمة في جبل لبنان وامتنعت فيه مستقلة بالمحافظة على آدابها وعقائدها ومنازعها . . . " (٣)

ومّما قاله في بحث عن كوكب " زحل " :

" هو اله الزمن والتقادير والزراعة عند القدماء وقد طالما عبدوه وشادوا له الهياكل الفخيمة واقاموا له الاحتفالات والاعياد التي كانوا يتقاطرون لحضورها من جميع الاطراف . . . " (٤)

وقال في المرّيخ :

" . . . ومع ان الزهرة اقرب الينا من المرّيخ . . . فان المرّيخ اوضح منظرا واظهر صفحة للراصد لان الزهرة ابداً مغشاة بالغيوم الكثيفة المتلبّدة في جوّها

---

(١) " المعرف الطيّب " ، ص ٦٥٢ .

(٢) " الطبيب " ، ص ٤٨ .

(٣) " البيان " ، ص ٢٠٩ .

(٤) " الضياء " ، السنة الثامنة ، ص ٥٨٣ .

بحيث ان العين لا تقع على سطحها ولا تنال المناظير منها الا ما تعكسه اشعة الشمس عن تلك الغيوم . . . "(١)

يلاحظ من خلال الشواهد الآنفة الذكر ان انشاء الشيخ ابراهيم المرسل يدلّ على ذوق في اختيار الالفاظ وان اسلوب عبارته جمع بين المتانة والبلاغة والسهولة . فلقد كانت جمله ، حتى في اعسر المواضيع العلميّة ، قريبة المعاني ، متينة التركيب ، فصيحة الالفاظ التي كان يراعي في اختيارها بلاغة معناها ودقّته وحسن نغمها ووقعها .

ومجمل القول ان اسلوب الشيخ ابراهيم اليازجي كان في غالبه يجمع بين السلاسة والدقّة ، وترابط المعاني بعضها ببعض ، وتناسقها ، والتوسّع في الافكار والتعابير لتتبّع الموضوع الى جزئياته ، والتدرّج في البحث تدرجا يربط المعاني ربطا منطقيا بالفكرة الرئيسيّة . وعلى الرغم من بلاغة كتابة الشيخ ابراهيم ومتانة سبك عبارته وتحليتها احيانا بالمحسّنات اللفظية والمعنويّة ، فانّك تلمح فيها بساطة وسهولة وكأن كاتبها يعبّر عن افكاره ببساطة وبعد عن التكلّف الامر الذى جعل البعض يشبّهون اسلوبه باسلوب ابن المقفّع . لقد انقادت اللّغة للشيخ ابراهيم اليازجي فملكَ انشاءً راقيا فكان حجّة لغويّة وقمّة من قمم الانشاء العربي البليغ .

---

(١) "الضياء"، المجلّد الثالث ، ص ٢٨٩ .

## ٣ — ( في الشعـــر )

كان معظم الشعر في القرن التاسع عشر قد استمرّ في المجارى التقليدية اذ طرق شعراؤه ابواب الشعر التقليديّة من فخر وغزل ومديح ... محاكين من سبقهم من شعراء العربيّة في العصر العبّاسي ، ولم يخرج المجيدون منهم عن الالتزام بعمود الشعر العربي القديم . ( ١ )

يذكر جرجي زيدان ، صديق الشيخ ابراهيم ومعاصره ان شيخنا نظم الشعر في شبابه وقعد عنه في كهولته وانّه رغبة منه في كتمان منظوماته جمعها في مخطوط لم ينشر الا بعد وفاته . ( ٢ ) ولمّا اشتهر شعره قصده الناس لينظم لهم في الاغراض المختلفة من تهنئة ومدح ورثاء ، وتواردت عليه مراسلات الشعراء حتّى وجد ان استمرار انصرافه الى الشعر سيؤدي به الى اهمال سواه " فترك النّظم بتّة وعكف على الاشتغال باللّغة وسائر فنون الادب والعلوم العقلية" . ( ٣ )

ترك الشيخ ابراهيم ديوانا شعريا يتيما اسماه " العقد " ( ٤ ) وهو متوسّط الحجم ( ١٧٢ صفحة من القطع الوسط ) خطّه بيده بخطّ جميل ثم طبعه محفورا ابن شقيقه خليل ، الشيخ حبيب اليازجي ، مضيفا اليه بضع رسائل بخطّ الشيخ ابراهيم وملحقا به ما كان صاحب " الضياء " قد أرّخه شعرا . ( ٥ ) وهذا

---

( ١ ) يتلخّص عمود الشعر بما يلي : شرف المعنى وصحّته — جزالة اللفظ واستقامته — الاصابة في الوصف — المقاربة في التشبيه — التحام الاجزاء والتآمها على تخيّر من لذيذ الوزن والطبع واللّسان — مناسبة المستعار للمستعار له — مشاكلة اللفظ للمعنى بحيث يكون اللّفظ مقسوما على رتب المعاني . انظر : المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمّد : " شرح ديوان الحماسة " ، نشره احمد امين وعبد السلام هارون ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٩—١٣ .

( ٢ ) " تراجم مشاهير الشرق " ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ — " الثريا " ، ١٩٠٢—١٩٠٣ ، ص ٤٠٦ .

( ٣ ) " الثريا " ، ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ، ص ٤١٠ .

( ٤ ) اليازجي ، ابراهيم : " العقد " ، البرازيل ، لا . ت .

( ٥ ) في الديوان صورة نادرة للشيخ ابراهيم ( ص ٩٤ ) ومجموعة رسائل نثريّة اضافها الناشر وهي مسجّعة تشبه المقامات في اسلوبها .

الديوان مصدّر بترجمة لحياة الشيخ منقولة بتصرّف عن مجلة " الهلال" (١) وليس مفهرسا .

## الابواب الشعرية التي طرقها في ديوانـــه

تناثرت قصائد " العقد" ولم ترد مبوّبة . ويبدو لدارس هذا الديوان انّ ناظمه طرق ابوابا تقليدية أوردها فيما يلي وفق كثرة ورودها على صفحات ديوانه :

١ ــ المديـــح
٢ ــ المراسلات
٣ ــ الرثـــاء
٤ ــ الوصـــف
٥ ــ الاخوانيّات
٦ ــ تقريظ الروايات
٧ ــ القصائد الوطنية
٨ ــ الغـــزل .

اما المديح فقد نهج فيه منهج القدماء . فهو كثيرا ما يستهلّ اهم قصائده المدحية الطويلة بالوقوف على الاطلال وذكر الاحبّة ثم ينتقل الى مدح الممدوح وذكر صفاته . ويكاد هذا النهج يكون ملازما له في معظم هذه القصائد . قال يمدح عبّاس حلمي باشا : (٢)

---

(١) انظر مقدّمة الديوان ، ص ٧ .
(٢) الديوان ، ص ٨٣ .

زمان الحمى هل من معاد فنطمعا ... ونمسك اكبادا تذوب وأضلعا
ويا منزل الاحباب هل فيك وقفة ... تجدّد تذكاري وان كان موجعا .
ويا نسمات المنحنى كيف اهلـه ... وهل طاب بعدي ذلك الحيّ مرتعا
قضى الدهر فينا بالفراق وطالما ... عهدناه قدماً بالجماعات مولعا

. . . الى ان يقول :

مليك غدا قطب المكارم والنّدى ... وبات حماه للرّغائب مجمعا
سلالة بيت المجد والعزّ والعلى ... وصفوة من في دستهم قد تربّعا
فتى خاض لجّ الحادثات وضلعها ... وناشر ريحيها وخلّد وزعزعا

وقد يستهلها بذكر الحبيب وهو يظعن مع الركب قبل ان ينتقل الى الممدوح .
قال مادحا محمد راشد باشا صاحب ولاية سوريا (١)

في الرّكب بين هوادج الآرام ... قمر يسايرهنّ تحت لثام
تلك الركائب سار قلبي خلفها ... متتبّعا لمواطئ الاقدام
يومٌ وقفت به كئيبا حائرا ... للبين اسأل رحمة الانعام
وتمهّدي يا نفس ما لم تمهدي ... تركا له من صبوة وهيام
واذا رمتك يد الزمان بنكبة ... فاستنجدي بوزيرنا المقدام
ذي الدولة العظمى الذي من أمّه ... فجواره حرم على الايام
الراشد الهادي الامين المقتدى ... بسداد امر الواحد العلّام
السيّف السّند الذي اضحى به ... نهج العدالة واضح الاعلام

---

(١) الديوان ، ص ١ .

وأمّا في مراسلاته الشعريّة فقد كان في الغالب يجيب الشعراء عن ابيات كانوا قد بعثوا بها اليه . ( ١ )

قال يجيب الدكتور سليم افندى دياب عن ابيات بعث بها اليه : ( ٢ )

وكأنّما يملي السليم قصيدة ... فالقوم بين مكبّر ومهلّل
النّاظم المعنى الدقيق كأنه ... اسلاك درّ بالجمان مفصّل
متوقّد الافكار لو برزت لنا ... في اللّيل اغنت عن ضياء المشعل

وقال مجيبا قسطاكي افندى الحمصي :

عاتبتني على صروف زمان ... قد رماني بشؤمه لا رماها
وعتاب الاحباب حلو واحلا ... ه مذاقا ما جاء من احلاها
وانا الصّادق الوفاء وان لم ... يصدق العزم تارة في وفاها
والتداني حسبي وللدّهر فينا ... بَدَوات نقول ربّ عساها

وهو في مراثيه يقف نائحاً يذرف دموع الحزن ، مادحا الفقيد مستخلصا من وفاته الحِكم والعِبر من الدهر ومستسقيا المطر فوق ضريحه ، وهو في كل هذا مقلّد للشعر القديم . ( ٣ )

قال يرثي وهبة اللّه نوفل الطرابلسي : ( ٤ )

ايّها النائح البكر مهلا ... جاوز الامر دمعك المستهلا
شقّ من قبلنا الورى كل قلب ... ولقد كان لو شفى النفس سهلا

---

( ١ ) انظر مثلا في الديوان ، ص ٣ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٥٣ .
( ٢ ) الديوان ، ص ٣ و ٤ .
( ٣ ) انظر مثلا في الديوان ، ص ( ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٩ ، ٩١ .
( ٤ ) الديوان ، ص ٤٩ — ٥١ .

انّما نحن ثاكل وصريـــــع ذاك يشقى وذاك في الترب يبلى
كلّ نفس في دهرهـا رهن يوم يترك الدهر بالذى فيه بُطـــلا
طوت الارض منه اكـرم ذات طهرت في الكرام فرعا واصـــلا
دأبه النفع للبرايا فان لـــم يكُ يوما فدفع ضرّ تولّـــى
ايّها القبر قم بحقّ نزيـــل بك ما زال للكرامة اهـــلا
ظلّ قطر الغمـام فوقك يجري وعلى من بك المراحم تُتلى .

وقد تتخلّل مراثيه بعض الحكم كقوله في معرض رثائه للامير محمد ارسلان : (١)

اذا ما دُفعنا للبليّـة سـرّة ولم ننتفع بالحزن فالصبرا احزم
وليس لنا من مطمع فات نيلـه اذا كان ما نبغيه ما ليس يُغنم

وهو في الوصـف يتوخى الدقّة ويكثر من الاستعارات. ولعل اطرف ما قال في هذا الباب وصفه العود ، وساعة نصبت في منارة احدى الكنائس . قال في وصف العود : (٢)

وعودٍ صفا الندمان قدمـا بظلّـه
وما برحت تصغو لديه المجالـــس
تعشّقه طير الاراكة اخضـــرا
وحـنّ اليه ريشـه وهو يابـــس .

وقال في وصف السّاعة : (٣)

ومحصيةٍ اعمارنـا كلّما انقضـــت
لنا ساعة دقّت لها جـرس الحُـــزن

---

(١) الديوان ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) نفسه ، ص ٧٧ .
(٣) نفسه ، ص ٨١ .

فيا بنت هذا الدّهر سرت مسيره
فهل انت دون الناس منه على امن

وأمّا في مجال الاخوانيّات فقد برزت صورة الاخوة لديه من خلال القصائد التي انشدها في المحافل الماسونيّة (١)، ومن ذلك قوله : (٢)

ولي اخوة لا والدى كان والدا لهم
لا ولا أمّي بهم شغلت حجرا
اخاء حلا حتّى ظننت كؤوسه
هي الشّهد ما بين القلوب له مجرى
أبرّ الورى بعضا ببعض طويّة
واوثقهم ودّا وابعدهم غدرا

ولعل شعوره المرهف تجاه اخوانه واحبّائه هو الذى جعل من الوداع لديه قضية تثير المشاعر فتمتزج فيها مرارة الفراق بحلاوة التلاقي . قال في ذلك. (٣)

وداع وما يغني الوداع من الوجد
ولكنّه زاد المشوق على البعد
وما هي الاّ وقفة عند فائت
تمازج فيها طعما الصاب والشهد
فيا لك أيّاما تقضّى نعيمها
كما يتقضّى الحكم في غفلة الرّقد .

---

(١) الديوان ، ص ٢٣ ، ٢٥ .
(٢) نفسه ، ص ٢٤ .
(٣) نفسه ، ص ٣٦ .

الا علّلاني ساعة بادّكارهـــــا
ولا تصحياني ان سكرت من الوجـــــد
اردّد شجوي بالوداع صبابـــــة
وهيهات ترديد الصّبابة ما يُجـــــدي .

وفي تقريظـه الرويات كان يثني على كتّابها مظهرا مواطن الاجادة فيها . ومن ذلك قوله : ( ١ )

هذا كتاب فصّلـت آياتـــه بفرائد ازرت عقود الجوهـــر
فاقت فواصله القوافي اذ اتت ببديع لفظ بالبيان محبّـــر
عربيّة السربال ضمـــن وشاحها بكر من الاعجام ذات تستّـــر
للّه منشئها اللّبيب فكـم بـدت منه نوابغ حكمة لـــم تنكـــر

وقال مقرّظا رواية تمثيليّة : ( ٢ )

رواية جاد منشيهـا اللبيب بما اجاد من وشي الطاف وآداب
راقت محاضرها انسا وقد اخـذت من حاضريها باسماع والبـاب
قد انشأت للنّهى فيما ارت عبرا واطربت كلّ سمع ايّ إطـــراب
للّه منشئها الندب الخطير فقد فازت يداه باخطار وانـــداب

وللشيخ ابراهيم في الوطنيـــات قصيدتان طويلتان ( ٣ ) اضرمتا في النفوس الهزّة القوميّة العربيّة . يستهل قصيدته الاولى التي اعتُبِرت أوّل نشيـد

---

( ١ ) الديوان ، ص ٧٣ .
( ٢ ) نفسه ، ص ٧٤ .
( ٣ ) الديوان ، ص ٥٦ — ٥٩ و ٥٩ — ٦٣ .

قومي لحركة التحرّر العربي بقوله : (١)

تنبّهوا واستفيقوا أيّها العرب
فقد طمى الخطب حتّى غاصت الرّكب
فيم التململ بالآمال تخدعكم
وانتم بين راحات الفنا سلب
ثم يحثّ قومه العرب على النهوض قائلا :
كم تُظلمون ولستم تشتكون ، وكم
تستغصبون فلا يبدو لكم غضب
أُلِفتم الهون حتّى صار عندكم
طبعا ، وبعض طباع المرء مكتسب
فشمّروا وانهضوا للامر وابتدروا
من دهركم فرصة ضنّت بها الحقب
لا تبتفوا بالمنى فوزا لانفسكم
لا يصدق الفوز ما لم يصدق الطلب

ويخاطب الاتراك المستعمرين بقوله :

صبرا أيا أمّة التّرك التي ظلمت
دهرا فمّما قليل تُرفع الحجب
لنطلبنّ بحدّ السيّف مأربنا
فلن يخيب لنا في جنبه أرب

---

(١) الديوان ، ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ .

أمّا قصيدته الثانية فهي سينيّة (١) التي يثير فيها الهمم العربيّة ضدّ العثمانيين ، وفيها يقول :

دع مجلس الغيد الاوانس ... وهوى لواحظها النّواعس
اى النّعيم لمن يبيت ... على بساط الذلّ جالس
ولمن ازقّته بكف ... عداه يُظلَم وهو آئس
ولمن تُباع حقوقه ... ودماؤه بيع الخسائس
فاليكم يا قوم واطّرحوا ... المدالس والموالس
او لستم العرب الكرا ... م ومن هم الشمّ المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم ... نارا تروّع كلّ قابس

وأمّا الغزل

ففي " العقد " مقاطع غزليّة ورد بعضها في المطالع التقليديّة لقصائد المديح ، كما ذُكر سالفا ، وجاء قسم منها في شكل قصائد غزليّة قصيرة عفيفة في الفاظها ومعانيها . من ذلك قوله : (٢)

سترتُ بترتُ حبّك في قلب اليك صبا
شوقا وخير الهوى ما كان مستورا
فلا تظنّن قلبي عنك منصرفا
وان يكن بات بالاشجان مكسورا

وقوله : (٣)

---

(١) الديوان ، ص ٥٩ — ٦٣ .
(٢) نفسه ، ص ٧٦ .
(٣) نفسه .

بخصر حبّي همستُ بل نحره ... بل خدّه بل ثغره البارد
بل كل شيء فيه مستحسن ... لم أهوه من سبب واحد

وقوله : (١)

يا نائيا عنّي حُرِمتُ وصاله ... بالله قل كيف السبيل الى اللقاء
ان كان اجر العاشقين بصبرهم ... فأنا الذى صبرى قضى ولك البقاء

هذا ، وتكثر في الديوان ابيات ألحقت به وهي مما أرّخه الشيخ ابراهيم شعرا . (٢) من ذلك قوله مؤرخا لضريح نجم الحدّاد سنة ١٨٨١ : (٣)

مضى عن آل حداد كريم ... اتاه البين في شرخ الشباب
لذاك مناحة التاريخ قامت ... على نجم تحجّب في التراب

ونقع في الديوان ايضا على ابيات في الفخر . فمن قوله مفاخرا : (٤)

ان يجحد الحساد فضلي فما ... يخفيه بين الناس ان يجحدوه
بل هم به ادرى الورى انّهم ... لو جهلوا فضلي لم يحسدوه

وقوله :

ليس الوقيعة من شأني فان عرضت
اعرضت عنها بوجه بالحياء ندى .

وبعد ، فان ديوان " العقد " كلاسيكي من حيث عنوانه وابوابه الشعريّة نحا فيه الشيخ ابراهيم نحو الشعراء القدماء بصورة مجملة . ولعلّ هذه الكلاسيكية تبدو اكثر وضوحا حين اعرض خصائص صاحبه الشعريّة .

---

(١) الديوان ، ص ٧٩ .
(٢) الديوان ، ص ١٢٢ — ١٧٢ .
(٣) الديوان ، ص ١٤٢ .
(٤) الديوان ، ص ٨٠ .

## خصائصـــــه الشعريـــــة

يتبيّن لدارس ديوان " العقد " ان هناك خصائص معينة يتميّز بها شعر الشيخ ابراهيم. وهذه الخصائص يجمع فيها صاحبها بين القديم والحديث بحيث نستطيع ان نقول عنه بأنّه من روّاد الكلاسيكية الحديثة Neo Classicism وتتبيّن هذه الخصائص بصورة واضحة في ما يلي :

١ — الموضوعات : نظم الشيخ ابراهيم جلّ قصائده في موضوعات سبقه اليهـا الشعراء فمدح ورثى وتغزّل وافتخر . . . غير انه ولج بابا جديدا حين نظـم قصائد وطنيّة تدعو الى التحرّر العربي (١) وحين وصف منجزات العلم في عصره. (٢)

٢ — نهج القصيدة العام : احتذى الشيخ ابراهيم حذو من سبقه من الشعراء من حيث الهيكل العام للقصيدة بصورة عامّة. فهو حين مدح ،مثلا ،استهلّ بالوقوف على الاطلال والرّحيل الى ممدوحه ،لكنه خرج عن هذا التقليد في بعض قصائده حيث مدح مباشرة دون مقدّمات تقليدية. (٣) ويلاحَظ ان الشيخ ابراهيم لم يكن في قصائده اسير وحدة البيت التي خرج عنها لتأتي قصائده مجموعات من وحدات متتابعة الصّور. قال في معرض المدح : (٤)

فسل البداوة ايـن امسى جمعهـا ... بازآء سطوة ذلك الضّرغـام
هبّت ضخام طلائع فـــي وجهـــه ... حتى انهزمن فهوْن غير ضخام
خفقت قلوبهم ارتياعا عند مـــا ... وافاهم بخوافق الاعـــلام
ما كان حين لقـوه الّا صـدمـة ... علموا بها في الكسرّ صدق صدام

---

(١) الديوان ،ص ٥٦ — ٥٦ و ٥٩ — ٦٣
(٢) انظر وصفه الساعة ،الديوان ص ٨١
(٣) انظر الديوان ،ص ٣٥ ، ٨٦ .
(٤) الديوان ،ص ٢ .

٣ — الاوزان : جاءت جلّ قصائد الشيخ ابراهيم اليازجي منظومة على البحور الطويلة التي الفها الشعراء القدامى . ومن الواضح ان هذه البحور تتلاءم الى حدّ بعيد والموضوعات التي سادت ديوانه

٤ — الالفاظ : تغلب جزالة اللفظ واستقامته على قصائد الشيخ ابراهيم الامر الذى يقربّها من الفاظ الشعر القديم . وجزالة اللفظ واستقامته كما هو معلوم ميزة اساسية من ميزات عمود الشعر القديم . اقراء هذا المطلع الذى صدّر به قصيدة مدحيّة : (١)

الراشد الهادى الامين المقتدى ... بسداد امر الواحد العلّام
بادى الحصافة اصفراه كلاهما ... بحر كبير بالحقائق طام
متقلد الصمصام فوق عزيمة ... هي في الوغى امضى من الصمصام
جرّار خيل بالحديد تموّجت ... في كلّ جيش كالفطمّ لهام
هبّت صخام طلائع في وجهه ... حتّى انهزمن فهوّن غير ضخام
وغدوا كأن الارض تطرد فلّهم ... وكأنهم يسعون فوق ضرام

تجد انك امام مطلع لا يختلف عن الشعر القديم من حيث جزالة الفاظه واستقامتها ومن حيث معانيه وصوره التي تتنفس انفاس الصحراء . واذا قرأت قوله : (٢)

دع مجلس القيد الانيس ... وهوى لواحظها النواعس
واسلُ الكؤوس يديرها ... رَشَأٌ كغصن البان مائس
ودع الملثّم بالمطا ... عم والمشارب والملابس

---

(١) الديوان ، ص ٢ .
(٢) الديوان ، ص ٥٦ .

تجد الفاظا رقيقة سهلة تشهد بان الشيخ ابراهيم الشاعر جمع الى جزالة الالفاظ واستقامتها في بعض قصائده سهولتها ووضوحها في البعض الآخر.

٥ — المعاني : يلاحظ ان جل المعاني في قصائد الشيخ ابراهيم قديمة بعضها مصوغ بقوالب جديدة ، ومع هذا فقد عبّر عن معان جديدة استوحاها من عصره. فمن المعاني القديمة قوله راثيا : (١)

هام كل بعيشه والمنايا ... راصدات حول النفوس قيام
لو اراد الفتى قضاء امانيه ... لضاقت من دونها الايام
كلّ يوم تملّة شابها الشك ... وما لا يشكّ فيه الحمام
واستوى الميت والتراب وبين ال ... ميت والحيّ نسبة والتئام
قد رمى قلبك الحمام بسهم ... كثرت منه في القلوب الكلام

وكذلك قوله في مطلع قصيدة : (٢)

عرّجا في ربوعها وسلاها ... كيف تسلو متيّما ما سلاها
واعطفاها بوصف سقمي وما بي ... من شجون الهوى ولا تعتباها
يعلم الله ما بقلبي وما تجهل ... ما فيه انّه في حماها
واذا كان في السلوّ شفاء ... فقليل سلوّنا في شفاها

فمثل هذه المعاني قديمة تناولها اكثر من شاعر عربي قديم. الا انه حين يقول في وصف السّاعة :

فيا بنت هذا الدهر سرتِ مسيره ... فهل انت دون الناس منه على أمنِ

---

(١) الديوان ، ص ٣٨—٣٦ .
(٢) الديوان ، ص ٥٣ .

فانه يحاول ان يجسّد بعض المعاني الجديدة معتمدا الصورة المجرّدة. فالساعة تحصي الاعمار وتدوّنها بايقاع الحزن وهي بنت الزمان الذى لا يتغيّر.

٦ — متانة التركيب : انّ شعر الشيخ ابراهيم متين التركيب في معظمه. ولئن كنّا نجد في الديوان ابياتا متناثرة هي دون غيرها متانة وعمقا بل هي اقرب الى كلام منثور ضحل المعاني ،فانّ هذا الامر لا ينفي عن شعر اليازجي متانة التركيب في مجمله. من ذلك قوله : (١)

قال كم صانع الزمان حميرا ... يتخطّون فوق بسط الحرير
قلت لن تشتفي بذمّ اناس ... بهم صرت حاسدا للحمير

وقوله : (٢)

ان يجحد الحسّاد فضلي فما ... يخفيه بين الناس ان يجحدوه
بل هم به ادرى الورى انّهم ... لو جهلوا فضلي لم يحسدوه.

٧ — اعتماده المحسّنات البديعيّة دون غلوّ : لم يبدُ لي من خلال ديوان "العقد" ان الشيخ ابراهيم مولع باستعمال المحسّنات البديعية. فهو ان استعملها فليس على حساب المعنى بل لتجمّله وتحسن ابرازه بصورة افضل. ولعل عدم غلوّه في استعمال المحسّنات يميّزه عن غيره من شعراء القرن التاسع عشر الذين اعتمد الكثيرون منهم المحسّنات وسيلة لاظهار براعتهم في النّظم. يقول الشيخ ابراهيم : (٣)

رعيا لصفو ليال باللّقا سبقت ... حيث ابتسام الاماني في بواديها
برق بدا ثمّ ولّى نازفا مطرا ... سالت به عبرة لي طاب هاميها

---

(١) الديوان ، ص ٨١ .
(٢) الديوان ، ص ٨٠ .
(٣) الديوان ، ص ١٦

فهو في هذين البيتين يعتمد الاستعارة ليجمّل المعنى والصورة الشعرية . فالدماني تبتسم والمطر ينزف وكأن الماضي والمطر كائنات حيّة .

ويقول : (١)

جرحتَ بعدك اكبادا بسهم أسىً ... في كلّ جفن لماضي نصله أثر .
ومأتم بطباق الشحب متّصل ... حقّ على عبرات الشحب تنفجر

وهو هنا يستعير للاسى صفة السهم ويجعل السحب تذرف الدموع .

ويقول : (٢)

وما الارض الا قفرة زأرت بها ... اسود المنايا حولنا وهي حوّم

انها لصورة شعرية جميلة رحبة الخيال . شبّه الارض بارض قفرة تعيش فيها الاسود واستعار للمنايا صفة الاسود . ان الشيخ ابراهيم اليازجي بارع في استعمال المحسّنات البيانيّة وبخاصّة الاستعارة والتشبيه لكن دون أن تكون براعته هذه على حساب معانيه التي جاءت سهلة خالية من التعقيد والحشو في الفاظ فصيحة مأنوسة . وهو في اعتماده لغة المجاز والاكثار من الصور الخيالية وتمسكه باللّفظ الصحيح والتراكيب البليغة يعطي شعره عمقا مميّزا .

٨ — الخيال والعاطفة : بدا خيال الشيخ ابراهيم خيالا جامحا مكّنه من وضع الاشياء في مركّبات جديدة . فهو في البيت السابق مثلا تخيّل الارض ارضا قفرة تزأر بها اسود المنايا . ويبدو خياله ايضا في كثير من شعره ، ومن ذلك قوله : (٣)

واطّلت الازهار من اكمامها ... تفترّ عن درر الحيا المتبجّس
وسرى النسيم على جوانبها وقد ... حيّا فحيّته بخفض الارؤس

---

(١) الديوان ، ص ٢٢ .
(٢) الديوان ، ص ٣١ .
(٣) الديوان ، ص ١٣ .

رغم بساطة المعنى في هذين البيتين فانّ دور الخيال ظاهر في تصوير ازهار الروض بشكل جديد . وكما انّ للخيال دورا رئيسيا في الشعر كذلك للعاطفة . ويلاحظ ان العاطفة كانت قويّة ظاهرة في معظم ما نظمه الشيخ ابراهيم من مديح ورثاء وقصائد وطنيّة ، لكنّها كانت باردة خافتة في غزله الذي جاء عفيفا مكبوت العاطفة .

٩ — استواء شعره : يلاحظ ان جلّ قصائد الشيخ ابراهيم اليازجي تتساوى بوجه عام من حيث متانة التراكيب ووضوح المعاني وبلاغتها .

١٠ — المبالغة : المبالغة ظاهرة تكاد تكون صفة لمعظم الشعر القديم . ولعلّ الخيال الشّعري والسعي وراء تعميق المعنى وتجميله هو ما دفع الشيخ ابراهيم الى اعتماد المبالغة الشعرية وقديما قيل : اعذب الشعر اكذبه . ولعل المبالغة تبدو اكثر وضوحا في قصائد الشيخ ابراهيم المدحيّة . يقول مادحا : (١)

| | |
|---|---|
| في جفنه قمر ينير اذا دجا | ليل المشاكل في سما الاحكام |
| متقلد الصّمصام فوق عزيمة | هي في الوغى امضى من الصّمصام |
| خفقت قلوبهم ارتياعا عندما | وافاهم بخوافق الاعلام |
| وغدوا كأن الارض تطرد فلّهم | وكأنّهم يسعون فوق ضرام |

يبدو عنصر المبالغة المستحبّة والخيال الواسع في هذه الابيات التي يصف بها الشاعر شجاعة ممدوحه الخارقة ممّا يجعل هذه الابيات عميقة المعنى قريبة صورها من الصور المحمّية . أمّا وسائل المبالغة لدى الشيخ ابراهيم فأهمّها الخيال

---

(١) الديوان ، ص ٢ .

الرّحب مقرونا بالاستعارات والتشابيه . والشيخ ابراهيم يرى الاغراض الشعريّة تنحصر في الغالب بهدفين : تجسيم المعاني والمبالغة في إظهارها لتكون اشدّ انطباعا في النفس(١) ، والتأثير في النفس بحدث من الاحداث كالسرور والانقباض والخوف والرجاء . . .

---

(١) انظر : "الضياء" المجلّد الثاني ( ١٨٩٩ — ١٩٠٠ ) ص ٦٦ .

## شخصيّتـه الشعريّـــة

ان الخصائص التي ذكرتها لشعر الشيخ ابراهيم اليازجي تشكل الاطار العام لشخصيّته الشعريّة النيوكلاسيكيّة التي جمعت بين القديم وملامح الجديد . فشعره من ناحية محاكاة للقديم وجرى على اساليب شعراء العصور السابقة من حيث الموضوعات والمعاني والالفاظ والتشابه والصور والتقيّد بعمود الشعر العربي القديم متأثرا في ذلك بأبيه وبما نهله من ثقافته الشعريّة المستمدة من شعراء العرب القدامى ولا سيّما العبّاسيّين منهم. وهو من ناحية اخرى يحمل ملامح التّجديد في بعض مطالعه وفي التفاته الى طرق باب موضوعات جديدة كما اظهرت سابقا . ولعلّ ما يميّز شخصية الشيخ ابراهيم اليازجي الشعريّة عن غيره من شعراء عصره التقليديين انه كان يحكّك شعره فينحت قصيدته ويحرص على متانة بنائها وفصاحة الفاظها ومتانة تراكيبها بعيدا عن التعقيد .
كما كان يرصّع قصائده التي جمعت بين الطّبع والصّنعة بضروب البيان المختلفة دونما تكلّف ، كلّ ذلك في شعر مصقول العبارة جمع بين السهولة والمتانـــة .

( الباب الثانـــي )

## الصحافة في عهد الشيخ ابراهيم اليازجي

لعبت الصحافة العربيّة في القرن التاسع عشر دورا هاما في نشر المعرفة وفي اصلاح اللّغة العربيّة والنهوض بها من كبوتها . وقد اعتمدت في تحريرها اسلوبا يناسب روح عصرها حيث صارت اللغة القديمة بما فيها من لفظ غريب ومحاكاة للقديم عاجزة عن نقل الافكار الحديثة . ومع اتّساع الحركة العلميّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، شعر الكتّاب بضرورة الدقّة والامانة في نقل المعاني المتعلّقة بالموضوعات الحضارية المستحدثة التي ضاقت بها احيانا مفردات العربية ، الامر الذى جعل الباحثين يحاولون اداء معانيهم المستحدثة باساليب شتّى كالوضع واعتماد المجاز والتعريب . ولعلّ الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتور يعقوب صروف ابرع هؤلاء الباحثين وذلك لممارستهما الطويلة للموضوعات العلميّة الحديثة خلال عملهما في الصّحافة العلميّة او في تدريسهما او عملهما في حقل الترجمة .

ولقد نمت الصحافة السورية في اواخر القرن التاسع عشر (١) فكان من بين مجلّاتها النشطة " البيان " و " المقتطف " . ويذكر الباحثون ان اول من استعمل لفظة " الصحافة " بمعنى صناعة الصحف كان الشيخ نجيب الحدّاد منشئ جريدة " لسان العرب " في الاسكندرية . (٢) فكانت الصحف في اول عهدها تسمّى الوقائع ومنها جريدة " الوقائع المصريّة " التي صدرت سنة ١٨٢٨م على عهد محمّد علي باشا . (٣)

---

(١) " تراجم مشاهير الشرق " ، ج ٢ ، ص ١٤٦ .

(٢) طرازى ، فيليب : " تاريخ الصحافة العربيّة " ، ج ١ ، بيروت ، المطبعة الادبية ، ١٩١٣ ، ص ٥ ، ٦ .

(٣) نفسه ، و " الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر " ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

ويبدو ان الصحافة التي تشكل مظهرا من مظاهر نهضة القرن التاسع عشر اتصلت اتصالا مباشرا بتيار إحياء اللّغة في ذلك العصر. فكانت الصحف في اول عهدها ركيكة العبارة كثرت فيها الاخطاء الشائعة ، فانبرى ادباء صحافيّون ، منهم الشيخ ابراهيم اليازجي ، يصحّحون العبارة الصحفية ويشيرون الى مواطن الخطأ فيها . ولعلّ مقالات الشيخ ابراهيم اللّغوية " لغة الجرائد " التي زخرت بها مجلّته " الضياء " خير مثال على اهتمامه باصلاح الاخطاء اللّغوية الشائعة في الصحف . ولا يخفى في هذا المجال ما كان من اثر لحركة الصحافة وشيوع الطباعة في نشر المعرفة في عصر اخذت فيه عقول ابناء الشرق تنفتح على الفكر وتتعرّف على المنجزات الحضاريّة .

## بواكير عمل الشيخ ابراهيم اليازجي في الصحافة

برزت جهود الشيخ ابراهيم اليازجي الاولى في الصحافة بمقالات متفرقة. كان ابرزها مناظرته الشيخ احمد فارس الشدياق على صفحات "الجنان" ومقالاته اللغوية في "المقتطف". الا ان جهوده الصحافية الاولى لم تقتصر على هذا، بل انه اسهم في الصحافة البيروتيّة (١) وهي في اوائل نهضتها وكانت "النجاح" يومئذ من مجلّاتها.

كانت "النجاح" مجلّة سياسيّة علميّة تجاريّة نصف اسبوعيّة ظهرت في ٩ كانون الثاني عام ١٨٧١م لصاحبيها القسّ لويس صابونجي السّرياني ويوسف الشّلفون، (٢) وكان يوسف الشلفون هذا احد اعضاء الجمعية العلميّة السوريّة، (٣) التي كان اليازجي من ابرز اعضائها، وفي مطبعة الشلفون نُشرت اعمال هذه الجمعيّة في العامين ١٨٦٨ و ١٨٦٩. (٤)

انتُدب الشيخ ابراهيم اليازجي لتحرير "النجاح" لقاء حصّة معلومة من اصل الارباح، فظهر فيها اقتداره على الانشاء العصري آنذاك ممّا لم يعهد الناس مثله. ولمّا رأى الشيخ ان واردات الجريدة لا تغطّي مصروفها، ترك تحريرها بعد عمله فيها نحو سنة. (٥)

تولّى الشيخ تحرير "النجاح" سنة ١٨٧٢ (٦)، وليس ممكنا ان يستدلّ الى ما كتبه فيها لامرين:

١ — ان ابرز ما قام به كان "النظر في امر العربيّة" كما ورد في مقدمة "النجاح" نفسها. (٧)

٢ — ان المقالات الواردة فيها لا يحمل اى منها اسمه. ويبدو ان معظم عمله في هذه المجلة كان منحصرا بتهذيب عبارتها العربيّة.

---

(١) "تراجم مشاهير الشرق"، ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) "تاريخ الصحافة العربيّة"، ج ٢، ص ٥١.

(٣) انظر ص من هذا البحث.

(٤) "الآداب العربية في القرن التاسع عشر"، ج ٢ ص ١٣٥.

(٥) "تاريخ الصحافة العربيّة" ج ٢ ص ٥١.

(٦) "تراجم مشاهير الشرق"، ج ٢ ص ١٤٥ — "الثريّا"، ص ٤١١ — و "الآداب العربية في القرن التاسع عشر"، ج ٢، ص ٣٥.

(٧) "النّجاح"، بيروت ١٨٧٢، السنة الثالثة، ص ١.

جهوده في " الطبيب "

كان الدكتور جورج بوسط ، استاذ النّبات وامراض الاذن والعين والجراحة في المدرسة الكلّية السوريّة — الجامعة الاميركية ببيروت حاليا — وقد انشأ المجلّة الطبّية " الطبيب " ببيروت عام ١٨٧٨ فحرّرها بنفسه بضع سنين ثم حرّرها بعده الشيخ ابراهيم اليازجي والدكتوران بشارة زلزل وخليل سعادة. (١) ولقد قام الشيخ ابراهيم باصدار هذه المجلّة مع صديقيه المذكورين عام ١٨٨٤ (٢) فغدت مجلّة طبّية علميّة صناعيّة ، وقد صدر الجزء الاول منها في ١٥ آذار عام ١٨٨٤ ببيروت ، وكان صدور عددها الاخير في ٢٨ شباط ١٨٨٥ ببيروت ايضا .

كانت " الطبيب " تصدر مرتّين كلّ شهر ، وقد صدر منها اربعة وعشرون عددا فقط (٣) ، وكان بوّد لجنة تأليفها متابعة اصدارها " . . . لولا ان اعترض العزم من المثبطات ووقف في طريق القلم من العقبات ما اوجب وفوقنا . . . " (٤)

تتنوّع مقالات " الطبيب " بين علميّة وادبيّة ولغويّة ، ومنها ما هو موضوع بالعربية اصلا ومنها ما هو مترجم عن الانكليزية او الفرنسية . وهذه المجلّة لا تخلو من فوائد جمّة بالنسبة الى قارئها ، (٥) وقلّما تذيّل مقالاتها بتواقيع كاتبيها

---

(١) انظر : " الطبيب " ، بيروت ١٨٨٤ — ١٨٨٥ ، ص ١١٩ .
و " تراجم مشاهير الشرق " ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٢) " تراجم مشاهير الشرق " ، ج ٢ ص ١٤٦ و " الشرياق " ، ١٩٠٢ — ١٩٠٣ ، ص ٤١١ .

(٣) راجع مجلّد " الطبيب "

(٤) " الطبيب " ، ص ٤٨٠ .

(٥) نفسه ، انظر مثلا ص ٤١٩ " فوائد صناعيّة " .

او اسمائهم ، ممّا يجعلنا لا نعرف بالضبط ما كتبه الشيخ ابراهيم نفسه فيها .

غير انّ الاب شيخو يذكر انّ الشيخ ابراهيم كان يحرّر فصولها اللّغوية والادبيّة ، (١) ويبدو لي انّ عمل الشيخ ابراهيم في المجلّة لم يقتصر على ذلك . فدارس فصول "الطبيب" ومقالاتها يشعر بأنّ قلم الشيخ ابراهيم ، وهو مدير المجلّة ، لا بدّ ان يكون مرّ على سائر مقالاتها مصحّحا ومنقّحا ، ومن ثمّ جاءت عباراتها والفاظها فصيحة متينة الانشاء .

واذا تتبّعنا المقالات المختلفة على صفحات "الطبيب" فاننا نرجّح ان الابحاث الفلكيّة في هذه المجلّة كانت بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي (٢) وذلك لمتانة اسلوبها وبلاغة معانيها وتسلسل عباراتها وافكارها ولانّ الشيخ ابراهيم كان ذا اطّلاع واسع على علم الهيئة ( الفلك ) . ونكاد نجزم ان المقالات اللّغوية التي حفلت بها "الطبيب" هي من نتاج الشيخ ابراهيم لما فيها من اطّلاع لغوي عميق انفرد به اليازجي عن زميليه الدكتورين زلزل وسعادة . فمقالات "أمالي لغوية" (٣) و "تكملة المعجمات العربية" (٤) واضحة المعالم الدالّة على أنّ منشئها هو الشيخ ابراهيم وذلك لموضوعاتها التي تشكل الجزء الاكبر من ثقافته ولاسلوبها السهل المرسل الدالّ على ذوق في اختيار الالفاظ والجامع بين المتانة والبلاغة والخالي من غريب الالفاظ .

---

(١) "الآداب العربية في القرن التاسع عشر" ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٢) انظر مثلا "الكرات الارضية والسماوية" ص ٩٧ و "رسم الكواكب بالفوتوغرافية" ص ١٩١ .

(٣) "الطبيب" ، ص ٣١ ، ١٢٧ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ... وغيرها .

(٤) نفسه ، ص ٢٨٦ و ٣٢٥ . وفي هذه المقالات صحّح اليازجي ما ورد من اخطاء عثر عليها في كتاب المستشرق دوزي .

وبالاضافة الى ما تقدم ، فاننّا نرجّح انّ الشيخ ابراهيم لا بدّ من انه اسهم في كتابة مقالات اخرى لا تنضوى تحت الابواب التي رجّحتُ نسبتها اليه كمقالّي " الانشاء " (١) و " الجرائد "، (٢) ذلك لانّ من موضوع هذين المقاليـــــن واسلوبهما يُستَشفّ نفس الياوجي ممّا يجعلنا نرجّح انّها قد تكون من وضعه او انه قد اسهم اسهاما كبيرا في تنقيحها على الاقّل .

يمتاز اسلوب مجلّة " الطبيب " بالفصاحة والسلاسة والمتانة ، وتكمن اهمية هذه المجلّة — في رأيي — في ما نشرته من مقالات علميّة ولغويّة فتحت بها العقول في بدء النهضة العربيّة على ما استجدّ من علوم ، وما القته من اضواء على مواضيع ثقافية تهمّ الناس على اختلاف مشاربهم .

---

(١) و (٢) انظر مثلا ، ص ٤ ، ٥٠٠ ، ٦٩ ، ١٠٧ ... من " الطبيب " .

## جهود في "البيان" (١)

لعقبات اعترضت مجال الاستمرار في اصدار "الطبيب"، (٢) ترك الشيخ ابراهيم بيروت وتطلّع نحو مصر بعد ان وجد الآداب العربيّة والصحافة قد تحولتا اليها، لما "أُطلِقَ فيها من حريّة الاقلام والاقوال." (٣) واتفق مع صديقه وشريكه في "الطبيب"، الدكتور بشارة زلزل، على السفر الى مصر لانشاء مطبعة ومجلّة علميّة فيها. (٤) ففادر الشيخ ابراهيم بيروت عام ١٨٩٤ وتنقّل في اوروبا ليشتري آلات الطباعة اللّازمة لمشروعه، ثم عاد الى القاهرة وانشأ مع صديقه الدكتور زلزل مطبعة "البيان"، واصدرا مجلّة "البيان" سنة ١٨٩٧ ثم حجباها بعد سنة وافترقا. (٥) وهو يشير الى توقّفها عن الصدور في المجلّد الاوّل من "الضياء" (٦).

و"البيان" مجلّة "علميّة ادبيّة طبيّة صناعيّة" كما ورد على غلاف الجزء الاول من السنة الاولى لاصدارها. صدر العدد الاول منها في أوّل مارس سنة ١٨٩٧م، وصدر العدد الاخير في ١٦ آب سنة ١٨٩٨ فيكون عدد الاجزاء التي صدرت منها ١٨ جزءاً، ذلك لانّها كانت تصدر على النّحو التالي:

— من العدد الاول حتى العدد السابع: شهريا.

— من العدد الثامن حتّى العدد الثامن عشر: كل نصف شهر،

---

(١) اليازجي، ابراهيم — زلزل، بشارة: "البيان"، القاهرة ١٨٩٧—١٨٩٨.

(٢) "الطبيب"، ص ٤٨٠.

(٣) "تراجم مشاهير الشرق"، ج ٢، ص ١٤٧. وراجع "البيان"، ص ٣.

(٤) (٥) نفسه.

(٦) "الضياء"، المجلّد الاول، ص ٢.

علما بان صدورها بعد العدد السادس عشر توقّف(١) مدّة.

كان عدد الصفحات يختلف بين عدد وآخر، ولكنّ العدد الغالب كان اثنتين وثلاثين صفحة لكلّ عدد.

---

(١) انظر، "البيان"، ج ٩ ٦٠٩.

اتّجاهاتـها وجهوده فيها :

جاء في افتتاحية هذه المجلّة ما يلـي :

" . . . انشأنا هذه المجلّة التي دعوناها بالبيان نضمّنها من ذلك كل ما فيه تثقيف للاذهان او تحضيض على الجدّ في سبل العرفان وننشر فيها جميع ما يتّصل بنا من مبتكرات هذا العصر الزاهر وما طواه كرور الأيّام من حسنات الدهر الغابر خصوصا ما كان من مآثر الامّة العربيّة وما لها من الآثار العلمية والادبيّة مع إعمال الجهد في احياء لغتها التي هي افصح ما اختلج به لسان وتدارك ما طرأ عليها من النقص بما اعتور اوضاعها من الاهمال والنسيان او ما خلت عنه من الاوضاع العصريّة التي زادت بزيادة مدارك العلم ومطالب العمران" . (١)

وترد بعض المقالات في المجلّة غفلا من التوقيع ،كما يرد بعضها على حلقات (٢) . ومهما يكن الامر ،فانه يبدو لي ان افتتاحيّة العدد الاول كتبها ابراهيم اليازجي نفسه . ويستدلّ على ذلك من اسلوبها ،وثمة مقالة بعنوان " القمر" يبدو من اسلوبها وموضوعها انّها بقلم الشيخ ابراهيم ايضا . (٣)

ويمكننا ان نقول بصورة عامّة ،انّ المواضيع اللغويّة الواردة في " البيان" هي من وضع الشيخ ابراهيم. ولعلّ ابرز هذه المواضيع سلسلة مقالات نُشرت بعنوان " اللّغة والعصر" في اعداد متفرّقة من المجلّة . (٤)

---

(١) " البيان" ،ص ٤ .

(٢) راجع مثلا مقال " الصابئة " .

(٣) نفسه ،راجع ص ٢٥ .

(٤) نفسه ،راجع على سبيل المثال ،ص ١٤٥ ، ١٩٣، ٤١٧ ، ٥٤٥ من المجلّد الوحيد .

وفي المقالة الاولى من هذه السلسلة يتحدّث الشيخ ابراهيم عن تقصير اللّغة بخدمة اهلها في عصره وهو يدعو الى تدارك هذا التقصير قبل فوات الاوان. (١) وفي رأيه ،انّ تقصير اللغة من الوفاء بمطالبنا العصريّة ، وارد من قِبل الامّة وتخلّفها في حلبة الحضارة والمدنيّة " اذ اللّغة بأهلها". (٢)

وفي المقالة الثانية يتحدّث عن " المجتمع اللّغوى" الذى انشِئ في القاهرة . (٣) وهو يأخذ عليه عدّة امور منها : حصر انتخاب المشتغلين به في عداد رجال مصر. (٤) ثم يتحدّث عمّا وضعه اهل " المجتمع" — يعني المجمع — من كلمات عربيّة مقابل كلمات اجنبيّة فينتقد عملهم. (٥) وعلى سبيل المثال ،يأخذ عليهم قولهم " عم صباحا" و " عم مساء" في مقابلة " بونجور" و " بونسوار" و " هما ممّا لا داعي اليه . . . اذ لا اكثر من الفاظ التحيّة عندنا فضلا عن انهما من قديم اللّفظ الذى قد أُميت استعماله منذ ازمان مديدة فلا تُقبلان في هذا العصر" (٦) . . . وهو يفضّل عليهما في تحيّة الصباح " نهارك سعيد" او " صبّحك الله بالخير . . . وفي تحيّة المساء " ليلتك سعيدة" او " اسعد الله مساءك".

---

(١) انظر ص ١٤٥ من مجلّد " البيان".

(٢) " البيان" ص ١٤٨ .

(٣) انظر ص ١٩٣ من مجلّد " البيان".

(٤) انظر ص ١٩٤ من مجلّد " البيان".

(٥) انظر ص ١٩٧ من مجلّد " البيان" وما بعدها.

(٦) نفسه ، ص ١٩٧ — ١٩٨ .

وفي المقالة الثالثة يتحدّث الشيخ ابراهيم عن اهمية اللّغة وخطرها في الامّة قائلا : " . . . اللّغة هي الامّة بعينها فكما تشخّص تأريخها وعلومها وعاداتها وعباراتها فانّها تشخّص الامة بنفسها وبها يشار اليها ويدلّ عليها وذلك فضلا عن انها هي مجمع ألفتها والوصلة الحسيّة بين آحادها وجماعاتها فهي علّة الضمّ الحقيقيّة بينها والجامعة الطبيعيّة التي بها يستتبّ معنى المدنيّة واذا تغطنت للمراد من قولهم الانسان مدنيّ بالطبع شفّ لك عن حقيقة هذا القول وتبيّنت موضع اللّغة من الحالة الاجتماعية ."(١) ولقد استرعى انتباهي قوله ان اللغة هي " الفصل الفارق بين امّة وامّة وعليها مدار الوحدة الوطنية وصيانة المصلحة الامّيّة ، . . انظر الى الناطقين بلساننا العربي فانهم على تباينهم في الانساب والاديان والعوائد الى ما لا تجد له مثيلا في العالم . . . ينضمّون بها ويتألّفون حولها ،. . . من اوجب الواجب في المحافظة على بقاء الامة وصيانة الجنسيّة بينها احياء لغتها بين عامّة اهلها وتكثير سواد اهل العلم منها . . ."(٢) . وقوله الاخير هذا ، حول اللّغة وكونها جامعا قوميا ، يذكر بجهوده في " الجمعية العلمية السورية" التي اسلفت الحديث عنها . فهو في تلك الجمعية انما ناضل نضالاً قوميا ونادى باللسان العربي الصحيح ونبذ التفرقة الدينية وانارة العقول بالعلم . (٣)

---

(١) " البيان" ، ص ٢٥١ .

(٢) نفسه ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) راجع الحديث عن جهود الشيخ ناصيف ونجله الشيخ ابراهيم في " الجمعية العلمية السورية" الوارد في القسم الاول من هذا البحث .

وفي المقالة الرابعة يقول الشيخ ابراهيم ان اهتمام مدوّني المعاجم القدماء انصبّ على تقييد مايُستعان به على فهم الفاظ التّنزيل والسنّة. (١)

وفي المقالة الخامسة يذكر الشيخ ابراهيم انّ لكل عصر لغته (٢) واننا والقدماء في امر وضع الفاظ اللغة سواء، ثم يتحدث عن طرق الوضع (٣) فيذكر الارتجال ، والاشتقاق ، والمجاز. ثم يتحدّث بشيء من التفصيل عن كل من هذه الطرق .

وفي المقالة السادسة يتابع الشيخ ابراهيم حديثه عن طرق الوضع مع اعطاء امثلة. (٤)

وفي المقالة الثامنة يتابع حديثه عن طرق الوضع ايضا ، مظهرا براعة لغويّة تثبت تضلّعه باللّغة العربية. (٥)

وفي المقالة التاسعة يتحدّث الشيخ ابراهيم عن صِيَغ الافعال وطرق اشتقاقها ،وما يتعاورها من ضروب المعاني ووجوه الاستعمال. (٦) وهو يقول ، في بعض ما يقول ، ان صيغة ( فاعل ) قد يعتبر بها عن " تكرار الفعل وموالاة بعضه لبعض ،فقولك طالبته بدَيْني حقيقة معناه طلبته مرّة بعد مرّة" (٧) . . . وكذلك " قولك طاردت الصيد وراقبت النجم". فالشيخ

---

(١) انظر " البيان" ص ٣٢٣ .

(٢) انظر ص ٣٥٣ .

(٣) انظر ص ٣٥٣ — ٣٥٤ .

(٤) انظر ص ٤٤٩ وما بعدها .

(٥) انظر ص ٤٨١ وما بعدها .

(٦) انظر ص ٥١٣ وما بعدها

(٧) انظر ص ٥١٥ .

ابراهيم اعطى معنى آخر لوزن ( فاعل ) يختلف عن المعنى المتداول لهذا الوزن ، اعني المشاركة .

وفي المقالة العاشرة يتابع الشيخ ابراهيم اليازجي حديثه عن صيغ الافعال ومعانيها( ١ )وفي نهاية هذه المقالة يذكر عبارة " ستأتي البقيّة( ٢ ) ولكنّي لم اجد للبقية اثرا في الاعداد اللاحقة من " البيان" ،وانما وقعت عليها في مجلّته " الضياء" . ( ٣ )

ولم يقتصر عمل الشيخ ابراهيم في مجلّة " البيان" على تدبيج المقالات ، اذ يبدو انّه تعدّى ذلك الى الاجابة عن الاسئلة اللغويّة التي كانت ترد الى المجلّة . وليس من المستبعد ان يكون قد اسهم ايضا في تنقيح بعض المقالات الواردة اليها قبل نشرها .

وبعد ،فان الشيخ ابراهيم اليازجي قد حقّق في " البيان" الاهداف التي اعلنها حين شرع في اصدارها . ( ٤ ) ففيها تثقيف للاذهان ونشر للمعرفة وعرض لمبتكرات عصره . الاّ انّ ما استوقفنا في هذه المجلّة كان البحوث اللغويّة المستفيضة . وهذا الامر — البحث اللّغوى — كان من الاهداف الرئيسية للشيخ ابراهيم اليازجي في " البيان" كما ورد في مقدّمتها . ( ٥ )

---

( ١ ) " البيان" ،ص ٥٤٥ وما بعدها .

( ٢ ) نفسه ، ص ٥٥٠ .

( ٣ ) راجع " الضياء" المجلّد الخامس ، ص ٢ تحت عنوان المجاز .

( ٤ ) " البيان" ، راجع المقدّمة ص ( ١ ، ٢ ، ٣ .

( ٥ ) انظر الصفحة الرابعة من مقدّمة " البيان" .

## جهـــوده فـــي " الضيـــاء" (١)

تمهيـــــد ،

بعد ان توقّفت مجلّة " البيان" عن الصدور، افترق الشيخ ابراهيم اليازجي عن زميله فيها — الدكتور بشارة زلزل — واستقلّ بانشاء مجلّة " الضياء" سنة ١٨٩٨ . (٢) ويبدو لمتتبّع جهود الشيخ ابراهيم في الصحافة من خلال عمله في " الطبيب" التي توقفت بعد عام من صدورها ، ومن ثمّ في " البيان" التي لم يكن حظّها في الاستمرار أوفر من سابقتها " الطبيب" ... يبدو لمتتبّع ذلك ان نفس الشيخ ابراهيم كانت تطمح الى انجاز عمل صحافي ضخم يرضي طموحه الكبير .

ولعلّ الجوّ الثقافي في مصر آنذاك ،كما يشير بنفسه في " البيان"، قد عزّز طموحه لما لقيه في مصر من " انتشار العلوم والآداب ... والمطابع الحافلة بالمصنّفات والجرائد ... وكثرة المتطلّعين الى المباحث العلميّة والعمليّة والمكبّين على تتبّع الاكتشافات والاختراعات واستبطان اسرار العلوم والصناعات"،(٣) ومن ثم وجد الشيخ ابراهيم نفسه قادرا بمفرده على تحقيق حلم كبير لم يحقّقه حين كان متعاونا مع زميليه الدكتورين زلزل وسمادة — في " الطبيب" البيروتية و " البيان" القاهريّة — . وما هذا الحلم الكبير سوى مجلّة " الضياء" التي حملت ثمار نضوج الشيخ ابراهيم اللغوي والادبي والعلمي

---

(١) اليازجي ، ابراهيم : " الضياء" — مصر ، ١٨٩٨ — ١٩٠٦ — المجلّدات الثمانية .

(٢) انظر " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) راجع ، " البيان" — المقدّمة ، ص ٣ .

وخبرته في الصحافة العلميّة والادبية ، وكأنّ جهوده وثقافاته التي سبقت " الضياء" روافد صبّت جميعها في " الضياء" ، فجاءت تشمل المعرفة من مختلف الالوان .

لقد ظهرت شخصية الشيخ ابراهيم جليّةً في " الضياء" ، كأنّ ما مضى من حياته العلميّة والادبيّة بلغ آية النضوج في مجلته هذه والتي صرف لها كل اهتمامه ، فكانت كتابه الرئيسي الذى صرف نظره عن مؤلفات كثيرة منها معجمـــــه .

## سبب اصدارها واهداف اليازجي فيها ،

ذكر الشيخ ابراهيم اليازجي في المجلّد الاول من "الضياء" انّ مجلّة "البيان" قد طرأ عليها "لقدر من الاقدار" (١) ما اوجب توقّفها قبل استيفاء سنتها الاولى ، ثم تابع قائلا : "وتتابعت الينا بعدها كتب الاخوان تتقاضانا العود الى ذلك المجال واستئناف ما كنّا فيه من مواصلة الدّأب والاشتغال وفي النّفس من تلك الخدمة اوطار تنزع الى قضائها وحقوق لم تزل الذمّة مرتهنة بادائها فاستخرنا الله في تنبيه الهمّة الى معاودة نشاطها وحثّ اليراع على الكرّ في اشواطها واصدرنا بقيّة اجزاء البيان يتعاهد بها قراءه بعد ذلك الانقطاع لتكون آخر مظهر له يقف لهم فيه موقف الوداع".

وتوقّفت "البيان" عن الصدور فقدّم الشيخ ابراهيم مجلّته الجديدة "الضياء" الى القرّاء قائلا : "وهذا صِنوه الضياء نهرزه من بعده متحلّيا بآساله جاريا في طريقته وناسجا على منواله نتابع العمل فيه على وجهه من انتقاء المباحث العلميّة والادبيّة والتنقيب عن الفوائد الصناعيّة والمكتشفات العصريّة مع ايراد فصول صحيّة نعتمد فيها على اقلام بعض ثقات الاطباء وزيادة اغراض اخرى ممّا يلائم ذوق عامّة القرّاء". (٢) فمن خلال ما ذكره اليازجي آنفا ، نستطيع ان نحدّد موضوعات "الضياء" بانها علميّة ، ادبيّة ، صحيّة ، مناظرة متنوّعة .

---

(١) "الضياء" ، المجلّد الاوّل ١٨٩٨ — ١٨٩٩ ، ص ٢—٣ .

(٢) نفسه ، ص ٣ .

## كيفيّـــة صدورهـــا ،

صدر العدد الاول من " الضياء" في الخامس عشر من ايلول سنة ١٨٩٨ ، واخذت تصدر خلال سنواتها الثلاث الاولى باربعة وعشرين عددا كل سنة بمعدّل عددين شهريا . ولكن في العام الرابع لصدورها اخذت تصدر بمعدّل عشرين عددا كل سنة ، اذ توقف اصدارها مدّة شهرين خلال فصل الصيف الحار ، وذلك لاغتنام الراحة " من اعمال الفكر وكدّ الرويّة ولا سيما في فصل الصيف على ما عرف به في هذه النواحي من شدّة الحرّ وثقله . . . فاضطررنا الى الوقوف عند الجزء العشرين وجعله ختاما للسنة الماضية — يقصد الرابعة — . . . وقد رأينا ان نستمرّ على ذلك في السنين الآتية . . . فنجعل السنة عشرة اشهر نصدر فيها عشرين جزءا فقط " . ( ١ )

---

( ١ ) " الضياء " ، مجلّد ٥ ، ص ١ .

## عرض شامل للمجلّـة واتّجاهاتهـا

أجلّ الشيخ ابراهيم العِلم وجعله لزاما على من يحسن الوصول اليه ، وهو يرى ان الامم تقاس بعلومها ومعارفها مشيرا الى رياح العلم والمعرفة التي هبّت على الشرق بعد ركود (١). لقد ساهمت "الضياء" في زرع بذور المعرفة في عصر النهضة وذلك من خلال الصحافة العلميّة التي كان يعقوب صّروف وابراهيم اليازجي واشالهما من اعلامها .

كان للبحوث العلميّة نصيب وافر في "الضياء" . ومّما يلفت الانتباه انّ عددا غير قليل من هذه البحوث يعود للشيخ ابراهيم نفسه ، الامر الذى يدلّ على سعة اطّلاعه العلمي وتنوّع معارفه التي كانت في معظمها مستقاة مما توصّل اليه العلماء الغربيون ، فكان اليازجي ، والحالة هذه ، جامعا لالوان المعرفة اكثر مما هو عالِم مبدِع ؟ ولعلّه اراد ان ينير عقول ابناء الشرق في هذا المجال . والشيخ ابراهيم ، وهو الحريص على الحقيقة العلميّة يشير في بعض بحوثه العلميّة الى المصادر التي استقاها منها . (٢) وتتنوع بحوث العلم والمعرفة في هذه المجلّة لتشمل بحوثا في علوم الفلك ، والنبات ، والطبّ ، وعلم النّفس ، والجيولوجيا ، وفي الفوائد العلميّة المختلفة .

ولقد حفلت "الضياء" بالبحوث اللّغوية التي سا عرض لها بالتفصيل خلال عرضي لجهود الشيخ ابراهيم الرئيسية في "الضياء" . وتحتوى هذه المجلة ايضا على فوائد ادبية تتمثل في مقالات وابحاث حول الفنون الشعرية والنثرية ، وقد كان للشيخ ابراهيم فيها اسهام كبير . ويمكن اعتبار "الضياء"

---

(١) انظر مقدمة العدد الاول من "الضياء" .

(٢) انظر مثلا ، "الضياء" المجلد الثالث ص ١٣٦ .

سجلّا لتدوين الآثار الادبية في ايامها ، ذلك انّ صاحب " الضياء " كان يتسقّط اخبار الكتب والمجلّات ويشير اليها على صفحات مجلّته .

ونلمح في " الضياء " بحوثا تتناول تاريخ الثقافة والادب والحضارة وتاريخ الشعوب القديمة والحديثة . كذلك نقع فيها على ابحاث جغرافيّة واخرى اجتماعيّة ذات فائدة ملحوظة في عصر كانت فيه العقول في بداية تفتّحها على الازدهار الحضاري .

الى جانب هذا كله ، نقع في " الضياء " على تراجم كبار الادباء وعلى باب رحب كثرت فيه الاستيضاحات وآخر يحمل انباء الاكتشافات والاختراعات والاحداث المهمّة في العالم .

وبعد هذا العرض الشامل ، ولكي تقترن الحقائق الآنفة الذكر بأمثلة ، وضعتُ جدولا باهمّ الموضوعات التي وردت بالمجلّة والتي تنتمي الى الابواب الرئيسية فيها . وقد رتّبت هذه الابواب بالقياس الى عدد ما ورد فيها من موضوعات .

| الباب | نماذج على سبيل المثال | المجلّد | الصفحة |
|---|---|---|---|
| العلم والمعرفة | الطيران الصناعي | ١ | ٣٣—٣٩ |
| | ملوحة البحار | ١ | ٣٨٩—٣٩٣ |
| | الزلازل | ٢ | ٥٤٩—٥٥٤ |
| | اصل البترول | ٢ | ٧٥٢—٧٥٤ |
| | الغراموفون | ٤ | ١٧٩ |
| | مقاومة السلّ | ٥ | ٣٠٩ |
| | قوّة ضوء الشمس | ٦ | ١٨٢—١٨٣ |
| | التبريد في الصناعة | ١ | ٧٤٤—٧٤٦ |
| | الروماتيزم العضلي والحديد | ٣ | ٢٣٩—٢٤٠ |
| | الملاريـــا | ٤ | ٧٢—٧٥ |
| | التخدير بالكهربائيّة | ٥ | ٤٣٠—٤٣٢ |
| | التنظيف بمفرغة الهواء | ٥ | ٢٠٧—٢٠٩ |
| | الغابات المتحجّرة | ٤ | ٥٩١—٥٩٢ |
| | آلة الكتابـــة | ٧ | ٤٥—٤٨ |
| | الورق | ٢ | ٤٨٦—٤٩٠ |
| | الاعضاء الصناعية | ٣ | ١٧٣—١٧٦ |
| | الدماغ والعقل | ٧ | ٤٢٦—٤٣٠ |
| | تقليد الذهب | ١ | ٣٣٤—٣٣٥ |
| | الحامض الكربونيك | ١ | ٧٥٤،٢٤ |
| | علاج لتسمين المهزولين | ٢ | ٤٩—٥٠ |
| | لحام الحديد والفولاذ | ١ | ٣٣٦،١١ |
| | التنويم المغناطيسي | ٦ | ٥٤٥—٥٤٨ |

| الباب | نماذج على سبيل المثال | المجلّد | الصفحة |
|---|---|---|---|
| العلم والمعرفة | اللولـــــو | ٢ | ٣٠٠—٢٩٦ |
| | الاسلاك البرقية في البحر | ١ | ٣٦٢—٣٦٠ |
| | الهواء السائل | ١ | ١٩٨—١٩٣ |
| | كسوف الشمس | ٢ | ٥٦٤—٥٦١ |
| | قشرة الارض | ٣ | ٣٧—٣٣ |
| | جوّ الارض | ٣ | ٢٠٣—١٩٨ |
| | استصحاب الاوكسجين في المناطيد | ٣ | ٧٢٣—٧٢٢ |
| | الالومينيـــوم | ٥ | ٢١٤—٢١٢ |
| | الحياة في القمـــر | ٥ | ٣٠٤—٣٠٣ |
| | سطـح القمـــر | ٦ | ٤٩٤—٤٨٩ |
| | المطر الصناعـــي | ٨ | ٢٣٨—٢٣٦ |
| اللغة والادب | لغة الجرائد | ١ | ٢٦١—٢٥٧ |
| | لغة الجرائد | ١ | ٤٥٢—٤٢٩ |
| | لغة الجرائد | ١ | ٦٧٦—٦٧٣ |
| | التعريـــب | ٢ | ٥١٨—٥١٣ |
| | التعريب | ٢ | ٧٠٢—٧٠٥ |
| | اغلاط العرب | ٣ | ٤٥٤—٤٤٩ |
| | اغلاط العرب | ٣ | ٥١٧—٥١٣ |
| | اغلاط العرب | ٣ | ٥١٧—٥١٣ |

| الباب | نماذج على سبيل المثال | المجلّد | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | اللغة العامية واللغة الفصحى | ٤ | ٢٥٧—٢٦٥ |
| | اللغة العامية واللغة الفصحى | ٤ | ٣٢٠—٣٢٦ |
| | اصل اللغات السامية | ٤ | ٤٨٦—٤٩١ |
| | اصل اللغات السامية | ٤ | ٥٨٠—٥٨٤ |
| | لسان العـــرب | ٦ | ٩٧—١٠١ |
| | لسان العـــرب | ٦ | ١٩٢—١٩٨ |
| | لسان العرب | ٦ | ٣٠٠—٣٢٥ |
| | اغلاط المولدين | ٨ | ١٩٣—١٩٧ |
| | اغلاط المولدين | ٨ | ٢٨٩—٢٩٤ |
| | الشعـــــر | ٢ | ١—٧ |
| | الموشّـــح | ٣ | ٢٦٦—٢٧٣ |
| | البحتـــرى | ٦ | ٧—١١ |
| | الشعر العربي | ٧ | ٣٠٢—٣٠٤ |
| | كتاب اسرار البلاغة | ٤ | ٥٦٧ |
| الاقاصيص | النجاة بعد اليأس | ١ | ٢٥—٣٢ |
| | الانتقام | ٢ | ٨١—٩٦ |
| | جزاء المعروف | ٣ | ٦٧٢—٦٤٠ |
| | فنون الجنون | ٤ | ١٨٤—١٩٢ |
| | في القطـــار | ٥ | ١٨٧—١٩٦ |
| | كيف أحببـــت | ٦ | ١٢٠—١٢٨ |
| | شرلوك هولمز | ٧ | ٢٧٦—٢٨٨ |
| | شرلوك هولمز | ٧ | ٤٠٥—٤١٦ |
| | الكولونيل جيرار | ٨ | ١١٧—١٢٨ |

يلاحظ من الجدول السابق ان البحوث المتعلّقة بالعلوم والمعرفة تشكّل معظم ما ورد في مجلّدات "الضياء"، ولذا فانني اوردتها في المرتبة الاولى. وعلى سبيل التقدير ارجّح انّها تشكّل ٤٥٪ من محتويات هذه المجلّة. ولعل روح العصر العلميّة وزيادة الطلب على المعارف في فترة اخذت عقول الشرقيين فيها تتفتّح على العلوم مع شروق شمس النهضة، هما اللذان جعلا السّمة العلميّة تغلب على "الضياء". واما البحوث اللغوية والادبية فتشكل ركنا رئيسيا من اركان "الضياء" التي كانت مدرسة لغويّة اعطت الصحافة انشاء عصريا متينا واعادت اللغة الى بهجتها الاولى.

ولعلّ الامر الملفت للانتباه غزارة الاقاصيص في "الضياء" والتي كان بعضها موضوعا والآخر معرّبا. ويبدو ان هذه الاقاصيص المشوّقة كانت تلذّ القرّاء، وهي تشكّل المرحلة الاولى من مراحل نموّ القصة العربية مع مطلع القرن العشرين.

## جهود الشيخ ابراهيم الرئيسية في " الضياء"

يمكن حصر جهود الشيخ ابراهيم في " للضياء" — بصورة عامة — في المجالات التالية :

- تحرير المجلّة بمفرده بعد ان كان قد حرّر "الطبيب" و " البيان" بمساعدة زملائه .
- تنقيح عبارات مقالاتها التي اتّسمت بعد التنقيح بمتانة انشائها وفصاحة عبارتها وبلاغة اسلوبها . (١)
- الاجابة عن اسئلة القرّاء اللغويّة اساسا والعلميّة احيانا .
- وضع بحوث لغويّة وادبيّة وعلميّة وفلكيّة .

وبعد ، فلعلّ البحوث اللغويّة التي زخرت بها صفحات " الضياء" تشكّل الجهد الرئيسي للشيخ ابراهيم في مجلّته هذه . ويمكن حصر ابرز هذه البحوث بثماني مقالات تتجسّد فيها اهمّ آرائه اللغويّة ، وهذه المقالات هي : " التعريب " ، و " المجاز" ، و " اغلاط العرب" ، و " اللغة العاميّة واللغة الفصحى" ، و " لغة الجرائد" ، و " اغلاط المولّدين" ، و " اصل اللّغات الساميّة" ، و " لسان العرب" .

— "التعريـــب" :

نشرَ هذا المقال في المجلّد الثاني من " الضياء" ،(٢) وقد استهلّه الشيخ ابراهيم بالكلام عن تطوّر اللّغة الشبيه بتطوّر الانسان " فمثل اللغة في ذلك مثل الانسان يشّب ويهرم ولا يشعر من نفسه بتبدّل في بنيته ولا قواه" . (٣)

---

(١) " تراجم مشاهير الشرق" ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) " الضياء" ، السنة الثانية ( ١٨٩٩—١٩٠٠ ) ، ص ٤٤٩ ، ٥١٣ ، ٠٠٠ ، ٦٠٩ ، ٠٠٠ ، ٧٠٥ ، ٠٠٠ .

(٣) نفسه ، ص ٤٤٩ .

ويرى اليازجي في هذا المقال ، في بعض ما يراه ، انّ العرب بحاجة الى كلمات جديدة تعبّر عن متطلّبات العصر ، ولكنهم مشغولون عن ذلك بالامر السياسي . " وكان مَثَلُهم فيه مثل من اهتمّ بتسوير ارضه وجدران بيته متداعية" . ( ١ ) ثم ينتقل الشيخ ابراهيم الى تحديد انواع التّعريب فاذا هي نوعان : الاول تعريب الكلمات المفردة . . . ومرجعه الى اللّغة . . . والآخر تعريب الجمل باعتبار تركيبها وموادّها وهو يرجع الى الصيغ البيانيّة" . ( ٢ ) ويورد امثلة على الالفاظ المعرّبة ويقترح طرقا لتتبّع في التعريب وفي ما يتّصل بكتابة الالفاظ المعّربة عن حركات تؤول الى صواب لفظها مما تفتقر اليه العربية في نظامها الكتابي ، والحروف وابدال ما كان منها اعجميا بحرف عربي . ولا يكتفي الشيخ ابراهيم في حديثه عن التّعريب بما ذكرناه آنفا ، بل يتحدّث كذلك عن تعريب الافعال ، فيذكر بعضها ويشير الى اصله المشتقّ منه كالعبريّة والسريانيّة ، ( ٣ ) وينتقد استعمال بعضهم لفظ " المناورة" في تعريب manoeuvre قائلا ان المناورة نوع من المثاقفة ولم ترد المناورة في اللّغة الّا بمعنى المشاتمة . ( ٤ ) ويشير الشيخ ابراهيم في مقالته هذه الى المواضع التي يقع فيها التعريب اكثر من غيرها كأسماء الاجناس " لانها موضع التفاوت بين اللّغات على الغالب واليها ترجع تسمية كلّ محدث من المخترعات والمكتشفات" . ( ٥ ) ويختتم مقالته بجدول يثبت فيه اشهر الالفاظ التي عرّبها هو نفسه وكتّاب عصره . ( ٦ )

---

( ١ ) " الضياء" ، السنة الثانية ( ١٨٩٩—١٩٠٠ ) ، ص ٤٥٠ .

( ٢ ) نفسه ، ص ٤٥١ .

( ٣ ) راجع ، على سبيل المثال ، " الضياء" ، السنة الثانية ، ص ٧٠٨ — ٧٠٩ .

( ٤ ) نفسه ، ص ٧١٠ .

( ٥ ) " الضياء" ، السنة الثانية ، ص ٧٠٥ .

( ٦ ) للاطّلاع على هذا الجدول يراجع ص ٣٥ من هذه الرسالة .

— "المجـــاز" ،

هذا البحث هو تتمّة لبحث كان الشيخ ابراهيم قد نشره في "البيان" تحت عنوان "اللّغة والعصر"،(١) وهو يقول في ذلك : "هو البحث الذي كنّا وعدنا به في الكلام على التعريب نورده في هذا الموضع وفاءً بالواجب واجابة لما لم يزل يتواتر الينا من رسائل الادباء في تقاضيه وهو تتمّة كلامنا فيما تقدّم لنا في مجلّة "البيان" تحت عنوان "اللغة والعصر" نعود فيه على ذلك البدء ولو تأخر موعده والامور مرهونة باوقاتها."(٢) وقد نُشر مقال "المجاز" هذا في اعداد السنّة الخامسة من "الضياء". (٣)

ويحدّد الشيخ ابراهيم في مقاله هذا نوع الاستعارات من تصريحية ومكنية . . . ويتكلّم عن الغرض من الاستعارة مشيرا الى اهميتها بقوله : "واعلم ان الاستعارة من ادقّ ابواب البيان مأخذا واكثرها تفصيلا بل لا يبعد كثيرا من قال هي البيان كلّه". (٤)

ويذكر الشيخ ابراهيم في معرض مقاله ان المقصود من بحثه هذا "وضع الفاظ لمعان لم يوضع لها لفظ في اللّغة بحيث تكون تلك الالفاظ عرضة للاستعمال كلّما احتيج الى التعبير عن مدلولاتها". (٥) ويمضي شيخنا في الحديث عن المجاز المرسل وضروبه وعن كيفيّة اخذ المجاز والاستعارة "من طريق الاشتقاق"،(٦) ثم يتحدّث كذلك عن النحت

---

(١) "البيان" ، ص ١٤٥ — وراجع ص من هذه الاطروحة.

(٢) "الضياء" ، المجلّد الخامس ، ص ٢ .

(٣) نفسه ، ص ٢—٥ ، ٦٥—٩٦ ، ١٦٥—١٦٨ ، ١٩٧—٢٠٠ ، ٢٩٣—٢٩٦ ، ٣٥٧—٣٥٩ .

(٤) نفسه ، ص [illegible] .

(٥) "الضياء" ، المجلّد الخامس ، ص ٦٧ .

(٦) نفسه ، ص ١٩٧ ..

وقواعده (١) هادفا الى تبيان اتّساع اللّغة العربية وقدرتها على مجاراة روح العصر واستحداث الالفاظ الضرورية لتطوّر الحياة ، حاثّاً بذلك العلماء على الافادة من اللّسان العربي القديم والنسج على منواله لوضع الفاظ جديدة عند الضرورة .

— "اغلاط العرب" (٢)

يستهلّ الشيخ ابراهيم بحثه هذا بقوله : " يذهب بعض الناس الى انّ العرب معصومة في السنتها لا يجوز عليها ما يجوز على المولّد من الخطأ والوهم وانّ كلّ ما نطق به البدوي ينبغي ان يُتّخذ سنّة يتابع عليها من غير بحث ولا انتقاد لان لسانه لا يجري الّا بالصواب ولا يقع الّا على الصّحة . ولا يخفى ما في هذا القول من الخُرق والغلوّ لانّا لا نعلم وجها يعصم البدوى عمّا ركّب في طبائع سائر البشر من قبول السهو والشطط فضلا عن كونه ادنى من غيره الى الوهم لانه كان ينطق عن السليقة المحضة ولم يكن له من القوانين الصناعيّة ما يردّه الى الصواب اذا شذّ عنه". (٣) ومن هنا ينطلق الشيخ ابراهيم الى ايراد ما جاء في كتب اللّغة من اغلاط العرب . كما يورد اشعارا وينبّه على اخطائها فيها كقوله — على سبيل المثال — . . . " قال عمر بن ابي ربيعة :

فقلت لجنّاد خذ السيف واشتمل

عليه برفق وارقب الشمس تغرب . . .

جزم تغرب على انه جواب الامر قبله وانما يجزم الجواب اذا كان على

---

(١) "الضياء" ، المجلّد الخامس ، ص ٣٥٧ .

(٢) "الضياء" ، المجلّد الثالث ، ص ٤٤٩—٤٥٤ ، ٤٨١—٤٨٦ ، ٥١٣—٥١٧ ، ٥٤٥—٥٤٨ ، ٥٧٧—٥٨٠ ، ٦٠٩—٦١٣ ، ٦٤١—٦٤٥ ، ٦٧٣—٦٧٦ ، ٧٠٥—٧١٠ ، ٧٣٧—٧٤٣ .

(٣) نفسه ، ص ٤٤٩ .

معنى الجزاء وهو محال هنا". (١)

ويبدو الشيخ ابراهيم اليازجي من خلال بحثه في "اغلاط العرب" حريصا على سلامة التعبير الصحيح ، كما يبدو لنا كذلك ناقدا لغويا فذّا ، فهو موسوعي الاطّلاع في الشعر العربي واللّغة وقواعدها وبلاغتها .

— "اللّغة العاميّة واللّغة الفصحى". (٢)

يبحث الشيخ ابراهيم في هذا المقال دعوة بعض الاجانب الى احلال اللّغة العاميّة محلّ الفصحى تسهيلا عليهم. وفي رأيه انّ هذا العمل فجرم لا يُغتفر لانّ العربي يحتاج الى الفصحى لكي يفهم كتب تراثه. ثم يتحدّث عن اسباب صعوبة اللّغة العربيّة فاذا هي "كثرة تشعّب قواعد اللّغة واتّساعها الى ما يفوت الحافظة ويستغرق الزمن الطويل في تعلّمها ممّا يكون عائقا عن تحصيل سواها من العلوم . . . /و/ قصور الفاظها عن اداء المعاني العلميّة والصناعيّة وسائر مواضعات الحضارة العصريّة. . (٣) ولحلّ هذه الصعوبات ، يقترح اليازجي "انشاء جمعيّة لغويّة يوكل اليها تعريب كلّ ما نحتاج اليه من الكلمات وتتولّى سدّ هذا النقص العظيم في اللّغـــة." (٤)

ويجدر بالذكر انّه قد تحقّقت امنية الشيخ ابراهيم اليازجي ، اذ نجد اليوم مجامع لغويّة في كل من دمشق وبغداد والقاهرة. ويرى الشيخ ابراهيم

---

(١) "الضياء" ، المجلّد الثالث ، ص ٧٠٥ .

(٢) "الضياء" ، المجلّد الرابع ، ص ٢٥٧—٢٦٥ ، ٣٢١—٣٢٦ ، ٣٥٣—٣٥٧ ، ٣٨٥—٣٨٩ ، ٤١٧—٤٢٤ .

(٣) نفسه ، ص ٣٢٢ .

(٤) نفسه ، ص ٣٨٥ .

في مقاله هذا انّ اللّغة العربيّة تتّسع للتّعبير عن كل ما يخطر في الذّهن ، كما انّ المعاجم القديمة زاخرة بالالفاظ والتراكيب الكثيرة التي نحتاج اليها اليوم. وعليه ، ارى وجوب غربلة معاجمنا القديمة من شوائبها ليصار الى وضعها بين ايدى طلّاب العربيّة وادبائها لتكون خير معين لهم على حلّ مشكلاتهم اللّغويّة.

— "لغـــة الجرائـــد"

هو بحث مستفيض نشره الشيخ ابراهيم اليازجي على حلقات في اعداد شتّى من "الضياء" في المجلّدين الاول والسابع (السنوات ١٨٩٨— ١٨٩٩ و ١٩٠٤—١٩٠٥). (١) امّا الدافع الى كتابة هذا البحث فكان "موضع الجرائد من الأمّة وما لها من التأثير في مداركها واذواقها وآدابها ولغتها وسائر ملكاتها ... بيد انّنا ... لا نزال نرى في بعض جرائدنا الفاظا قد شذّت عن منقول اللّغة فانزلت في غير منازلها او استعملت في غير معناها فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرّونق وجودة السبك فضلا عمّا يترتّب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ ولا سيّما اذا وقع في كلام من يوثق به فتتناوله الاقلام بغير بحث ولا نكير". (٢) فانطلاقا من مبدأ الحرص على اللّغة العربيّة وسلامة التعبير بها ، راح شيخنا يورد امثلة كثيرة جدا عن الالفاظ التي استعملها الكتّاب على غير معناها الصحيح.

---

(١) هنالك عشرات الامثلة التي ليس الرجوع اليها امرا صعبا.

(٢) "الضياء"، المجلّد الاول، ص ٢٥٧ — ٢٥٨.

فمن هذه الالفاظ — على سبيل المثال — لفظة الشبوبيّة " قياسا على الطفولية والرجوليّة . . . والصواب الشباب والشبيبة". (١) وكذلك استعمالهم لفظة عهدة بمعنى المعاهدة كقولهم " بين الدولتين عهدة تجارية . . . ولا معنى للعهدة هنا لانّها بمعنى تبعة الامر ودركه والصواب المعاهدة . ."(٢) . والشيخ يأخذ على الجرائد قولها " شيّد معالم الحضارة" . . . وهو " يحسب ان المعالم شيء من البنيان فجعلها ممّا يشيّد" . . . والافضل ان يقال " اوضحَ معالم الحضارة". (٣) ومن هذا القبيل ايضا قولهم " نيّف وعشرون دينارا" فيقدمون النيّف والمسموع تأخيره يقال عشرون ونيّف ومئة ونيّف " . (٤)

لقد لفت انتباهي ان الشيخ ابراهيم كان ملتزما برسالة واضحة : تخليص العربيّة من شوائبها وذلك بارشاد الكتّاب الى مواطن اخطائهم . وهو في مقالاته حول " لغة الجرائد " كان يتتبّع الاخطاء ملتزما برسالة وقف لها حياته . وخلال بحثه في الاشارة الى الخطأ والصواب في استعمال الالفاظ ،كان ينهج منهجا علميا يرتكز على الاستشهاد بما ورد في الشعر القديم وكتب اللّغة ويعتمد المقارنة احيانا . ويبدو لي ان ما تمناه الشيخ ابراهيم من عدم استعمال الناس لبعض الالفاظ في غير موضعها المعنوى الصحيح لم يتحقّق . فان استعمال لفظة ما ودورانها على الالسنة وورودها على

---

(١) " الضياء " ،المجلّد الاول ،ص ٤١٧ .

(٢) نفسه ،ص ٥١٤ .

(٣) نفسه ،ص ٦٤٣ .

(٤) نفسه ،ص ٤١٨

صفحات الكتب والجرائد امر كاف لان يجعلها مقبولة من قبل معظم اصحاب اللّغة. اذ نقول : اليوم سافر فلان على متن الطائرة . فهل شاهدت مسافرا يمتطي ظهر الطائرة ! كما نستعمل لفظة التّحوير(١) بمعنى التعديل والتنقيح ، الامر الذى كرهه الشيخ ابراهيم . الاّ انّ هذا كلّه لا يُنقص من قيمة عمل الشيخ ابراهيم في عصر غرقت فيه اللّغة في فوضى الانحلال بعد عصر ركود .

— "اغلاط المولّدين" (٢)

هي ابحاث عرض فيها الشيخ ابراهيم اغلاط كثير من الشعراء والكتّاب المولّدين مظهرا مواضع الخطأ فيها مصحّحا اياها بالاستناد الى اقوال العرب القدماء وعلماء اللّغة. وهو يرى "ان الشذوذ في اللّغة ليس بالامر النادر" . . . وان "الشوائب . . . اضاعت كثيرا من محاسن اللّغة وذهبت بفضل الواضعين لها وجعلت الاحاطة بها من المعجزات حتّى لا يتعدّى الثقات من اهلها افرادا قلائل في كلّ عصر ، ولذا كان العلم بشواذّ اللّغة وشواردها اهمّ من معرفة مطّردها ومقيسها" (٣) ويشير الشيخ ابراهيم الى ان هنالك الفاظا ذُكِرَ اصلها اللّغوى وان "لم يمكن ردّ كل لفظ الى قائله الاول لانّ ذلك مما حال

---

(١) "الضياء" ، المجلّد الاول ، ص ٢٥٨—٢٥٩ .

(٢) "الضياء" ، المجلّد الثامن ، ص ١٩٣—١٩٧ ، ٢٢٥—٢٢٩ ، ٢٥٧—٢٦٢ ، ٢٨٩ — ٢٩٤ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٣٥٣ — ٣٥٧ .

(٣) نفسه ، ص ١٩٣ .

بيننا وبينه كرور الايام. يدلّك على ذلك كثرة الصيغ من المادّة الواحدة لمعنى واحد ممّا لا تدعو اليه حاجة الاستعمال ولا يستفاد منه اتّساع في التعبير عن المعاني بل ربّما ادّى الى صعوبة مأخذ اللغة لما ينشأ عنه اضطراب اقيستها بسبب اختلاط المقيس بالشاذ ... وحسبك ان للعبد عشرة جموع هي اعبُد وعبيد وعِباد وعُبُد ... واكثر هذه الجموع لا يقاس عليه ... ومهما يكن من ذلك ... فان هذه الالفاظ وامثالها قد مضت على وجهها وأقرّها استعمال العرب لها فلم يبق الّا ان نستعملها كما سُمعت عنهم لكن لا بدّ لنا عند استعمال اللفظة من التثبّت فيها فان صحّ انها ممّا استعملوه في كلامهم استعملناها بغير نكير ولا بحث والّا رجعنا الى القياس فان وافقته فذاك والّا نبذناها الى ان يتبيّن ثبتها من السماع. (١)

ويتّضح من كلام الشيخ ابراهيم ان شوائب عديدة قد دخلت العربيّة وانه كان متشدّدا في قبول اية لفظة مولّدة قبل التأكد من فصاحتها وذلك بالقياس الى ما ورد في الاصول العربيّة. ولعلّ هذا الامر في صلب رسالته التي نذر لها سائر جهوده، عنيت اعادة الشباب الى العربيّة وتخليصها من شوائبها وذلك بتوجيه اقلام الكتّاب الى الصواب.

— أصل اللّغات الساميّة. (٢)

بحث نشره في اربعة اعداد من السنة الرابعة لـ "الضياء". وهو يشير

---

(١) "الضياء"، المجلّد الثامن، ص ٢٥٧.

(٢) "الضياء"، المجلّد الرابع، ص ٤٨٦ — ٤٩١، ٥١٩ — ٥٢٣، ٥٥١ — ٥٥٥، ٥٨٠ — ٥٨٤.

فيه الى انه كان قد نشره في " المقتطف". (١) ويلاحظ ان الشيخ ابراهيم يستعمل لفظة لغة في هذا المجال بمعنى اللّهجة فيقول : " المراد باللغات الساميّة اللهجة التي كانت على السنة سام بن نوح عليهما السّلام ومن اخذ اخذهم وهم سكان القسم الجنوبي من غرب آسيا . . . وكانت السنتهم تنقسم الى ثلاث لغات في الجملة وهي العربيّة في ناحية الجنوب والعبرانيّة في ناحية الغرب والإرميّة في ناحيتي الشمال والشرق . وهناك لغات اخرى من نحو الفينيقية والفلسطيّة من اللغات الدائرة والسّامريّة من لغات المتأخرين . . ." (٢). ومن خلال هذا البحث يتضح لنا ان الشيخ ابراهيم كان ملمّا باللغات الساميّة ومتضلّعا من العربية وانه يمتاز في اثناء عرض الموضوعات بسلاسة التعبير وايراد الشواهد . ونقع في هذا البحث على نظريات في اللّغة تجدر الاشارة اليها ، ومن ذلك قوله " انّ اللغة نشأت اول وضعها بين نفر معدود في اوّل مجتمع انساني لما تدعو اليه ضرورة التفاهم والتخاطب ثم انقسم اصحابها بعد ما كثروا فصاروا احياء ثم قرى ثم امصارا ثم ممالك فتباينت بذلك السنتهم تباين عاداتهم وملابسهم وسائر خصائصهم". (٣) والشيخ يشير الى ان اللّغتين : العربيّة والعبريّة لغتان متّحدتان من حيث " اوتاد اللّغة . . . من نحو الضمائر والموصولات والاشارات وسائر الادوات والحروف . . . وابنية الاسماء والافعال وما يلحقها من الزيادات وكيفية تصريفها". (٤) ويدعم

---

(١) انظر : " المقتطف "، المجلّد ٦ ، ١٨٨١م ، ص ٣٢٤ — ٣٢٩ و ٣٩٠ — ٣٩٤ و " الضياء" ، المجلّد الرابع ، ص ٤٨٦ .

(٢) " الضياء" ، م ٤ ، ص ٤٨٦ .

(٣) نفسه ، ص ٥١٩ .

(٤) نفسه ، ص ٥٥١ .

الشيخ ابراهيم رأيه هذا بشواهد من العربية والعبريّة الامر الذي يؤكّد لي انه كان ملمّا بالعبريّة ،ولقد سبق واشرتُ الى انه درس بعض اللغات الساميّة حين عُهِدَ اليه امر تعريب الكتاب المقدّس .

— " لسان العـــرب ". (١)

يذكر الشيخ ابراهيم اليازجي في المقالة الاولى من هذا البحث انّ الدّافع الى كتابه بحثه هذا هو الاخطاء التي وردت في الطبعة المتداولة لمعجم " لسان العرب " في عصره . ويشير الشيخ ايضا الى ان بعض الادباء اشاروا عليه بنشر ما اتّفق له العثور عليه من اخطاء في الطبعة المشار اليها آنفا من هذا المعجم . وهو في ذلك يقول : لم " نجد بدّا من تلبيتهم خدمة للّغة وصيانةً لها من ان تتناولها ايدى الفساد ولا سيّما وقد رأينا من المتطفّلين على المباحث اللغوية فمن اتّخذ بعض تلك الاغلاط حجّة غلّط بها النصوص الصحيحة فلم يسعنا بعدها الا ان ننبّه الى حقيقتها ليكون الآخذ عن هذه النسخة على بيّنة ممّا فرط فيها". (٢)

وبعد الاطّلاع على البحوث اللغوية المستفيضة التي نشرها الشيخ ابراهيم اليازجي في ضيائه بدا واضحا انها تشكل ابرز ما في " الضياء "من بحوث تمثل الجهد الرئيسي لصاحب هذه المجلّة . اما اطّلاع الشيخ الموسوعي على كتب اللغة ومصادرها القديمة وحرصه الشديد على نقاء اللّسان العربي من شوائب اللفظ والمعنى فكان جليا في سائر هذه البحوث . ولعلّ الناحية العمليّة التي أراد اظهارها هي أنّ اللّغة العربيّة قادرة

---

(١) بحث نشره على حلقات في المجلّد السادس ( ١٩٠٣ — ١٩٠٤ ) من " الضياء" .

(٢) " الضياء" ،المجلّد السادس ، ص ٦٧ .

على مجاراة العصر في تعبيرها عن منجزاته الحضاريّة في مختلف جوانب المعرفة . ولعلّ هذا ما جعل " الضياء" تستقطب اهمّ كتّاب العصر لاهميّتها امثال قسطاكي الحمصي ، ولبيبة هاشم ،وعيسى المعلوف ، وفريد وجدي ،ونسيب مشعلاني و نقولا الحدّاد .

## خاتمـــــة البحـــث

على هذه الصورة ينتهي بحثنا هذا . ومنعا لتكرار ما ذكرته آنفـــا ، لن اذكر هنا سوى ابرز ما توصّلتُ اليه من نتائج ، وهي :

— ان الشيخ ابراهيم اليازجي موسوعة لغويّة وعلميّة بلغت ذروة نضوجها في " الضياء" التي تُعتبر — في رأيي — أصدق مرآة تنعكس على صفحاتها شخصيّة الشيخ ابراهيم بأوضح معالمها . فمن يودّ ان يدرس جهود الشيخ ابراهيم اليازجي وفضله على العربيّة ، فليعمد الى مجلّته " الضياء" . ومـمّـا يؤكّد هذا الامر انّ " الضياء" كانت المجال الارحب الذي احتوى روافـــد جهود شيخنا كلّها في الصحافة واللّغة والعلوم . . . فقد جاءت استمراراً لجهوده السابقة في " الطبيب" و " البيان" .

— انّ الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب نظريّة قيّمة تنادي بأنّ اللّغة العربيّة قادرة على التعبير عن متطلّبات العصر ان استغلت استغلالا ملائما . وقيمـــة هذه النظريّة — في رأي — تكمن في أنّ المنادي بها لم يكتفِ بعرضها عرضا نظريا ، بل انّه اثبت صحّتها عمليا في ما كتب ونشر ، وبخاصّة في " الضياء" التي جعلها تحتوي بحوثا متعدّدة ومتنوّعة تعالج مختلف النّواحي الحضاريّة في عصره .

— انّ قيمة دعوة اليازجي الى العودة الى الاصول القديمة للّغة تكمن في أنه لم يدعُ الى اقتفاء اثر القدماء اقتفاء غير واعٍ ، بل انّه دعا الى ان نأخذ من القديم ما نحن بحاجة اليه وما تفرضه احتياجاتنا العمليّة ، فاللّغة لديه كائن حيّ ينمو ويتجدّد بتجدّد الازمنة ، وهذه الحقيقة تنطبق على لغتنا العربيّـــة .

— انّ اهتمام الشيخ ابراهيم اليازجي بمآثر الامّة العربيّة وبخاصّة لغتها التي

اعتبرها افصح اللّغات واكثرها مقدرة على التعبير ،كان عاملا اساسيا في ايقاظ الروح القوميّة العربيّة في نفسه والاعتزاز بعروبته .

— انّ قيمة الشيخ ابراهيم اليازجي ظهرت في دعوته الى التحسين من شأن اللغة العربيّة في اقتراحاته العمليّة باعتماد التعريب واصدار المعاجم الحديثة . . . ،وهذه كلّها جديرة بان تستأثر باهتمام القائمين على اللّغة اليـــوم .

— انّ الشيخ ابراهيم اليازجي أغنى اللّغة العربية بالفاظ ومصطلحات طباعيّة جديدة ووجّه اقلام كتّاب العربيّة — بدافع من الاخلاص الذاتي — الى الكلام الصحيح السليم ، لتعود الى اللّغة حيويّتها ونضارتها .

وبعد ،فقد يأخذ البعض على الشيخ ابراهيم اليازجي قلّة انتاجه . وقد يكون هذا الرأي على شيء من الصّحة اذا اعتبرنا انه لم يخلّف في أي حقل من حقول جهوده عملا كاملا ذا قيمة مستقلّة . الّا اننا اذا راجعنا الاعمال التي انجزها في التأليف والتصحيح والشرح والتعليم والصحافة . . . وغيرها لرأينا أنّها اعمال متشعّبة كانت على جانب كبير من الاهمية في عصر مهّد فيه اليازجي للادباء من بعده سبل سلوك منهج لغوي سليم ذي مستوى لائق ، فكان في كلّ ما انتج علَماً من اعلام نهضتنا الحديثة .

## المصادر والمراجـــع

### أ — الكتـــب


١ — انطونيوس ، جورج : " يقظة العرب" ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عبّاس ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٢ .

٢ — داغـر ، يوسف أسعد : " مصادر الدّراسة الادبية "، ج ٢ ، بيروت ١٩٥٦ .

٣ — زيدان ، جرجي : " تاريخ آداب اللّغة العربيّة "، ج ٤ — مصر ١٩١٤ .

٤ — زيدان ، جرجي : " تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر" ج ٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لا . ت.

٥ — سابا ، عيسى ميخائيل : " الشيخ ابراهيم اليازجي " ، دار المعارف ، بيروت ١٩٥٥ .

٦ — سابا ، عيسى ميخائيل : " الشيخ ناصيف اليازجي "، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ .

٧ — شبلي ، الاب انطونيوس : " الشدياق واليازجي" ، جونيه ، ١٩٥٠ .

٨ — شيخو ، لويس : " الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر" ، ج ١ و ج ٢ — بيروت ١٩٠٨ .

٩ — طرازي ،الفيكونت فيليب : " تاريخ الصحافة العربيّة "، ج ١ و ج ٢ ، بيروت ،المطبعة الادبية ، ١٩١٣ .

١٠ — عبد السيّد مخايل : " سلوان الشجيّ في الردّ على ابراهيم اليازجي " ، مطبعة الجوائب ،الآستانة ١٢٨٦ هـ .

١١ — عطيّة ،المعلّم شاهين : " عقود الدّرر في شرح شواهد المختصر " ، وقف عليه وهذّبه الشيخ ابراهيم اليازجي ، بيروت ، ١٨٨٧ — ١٨٨٨ م .

١٢ — كحّالة ،عمر رضا : " معجم المؤلّفين " ،دمشق ١٩٥٧ .

١٣ — المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمّد : " شرح ديوان الحماسة " ،نشره احمد امين وعبد السلام هارون ، ط ١ — القاهرة ١٩٥١ .

١٤ — مطران ،خليل : " ديوان الخليل " ، ج ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ .

١٥ — المعلوف ،عيسى اسكندر : " الغرر التاريخية في الاسرة اليازجية " ، ج ١ ،مجلّة الرسالة المخلصية ، ١٩٤٥ .

١٦ — الواحدي ،ابو الحسن علي بن احمد : " شرح ديوان المتنبّي " — نشره في مدينة برلين سنة ١٨٦١ م ،فريدرخ ديتريصي .

١٧ — اليازجي ،ابراهيم : " تنبيهات اليازجي على محيط البستاني " ، جمعها وحلّ رموزها الدكتور سليم شمعون وجبران النحّاس ، الاسكندرية ١٩٣٣ .

١٨ — اليازجي ، ابراهيم : " المقصد " ، البرازيل ، لا .ت.

١٩ — اليازجي ، ابراهيم : " مطالع السّعد لمطالع الجوهر الفرد " ، مطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ١٨٧٥ م .

٢٠ — اليازجي ، ابراهيم : " نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد " ، ج ١ ، ج ٢ — مصر ١٩٠٤ — ١٩٠٥ .

٢١ — اليازجي ، كمال : " روّاد النهضة الادبيّة في لبنان الحديث " — ١٨٠٠ — ١٩٠٠ ، بيروت ١٩٦٢ .

٢٢ — اليازجي ، ناصيف : " الكَرَف الطّيب في شرح ديوان ابي الطيّب " ، بيروت ١٣٠٥ هـ ( ١٨٨٧م ) .

٢٣ — اليازجي ، ناصيف : " مجمع البحرين " ، مكتبة صادر ، بيروت ١٩٢٤ .

٢٤ — Haim, Sylvia: " Arab Nationalism, an Anthology", London, 1962.

ب ـ المجلّات

١ ـ "البيـــان" ، القاهرة ١٨٩٧ — ١٨٩٨ .

٢ ـ "الشـــرق" ، السنة الخامسة ، القاهرة ـ ١٩٠٢ — ١٩٠٣ .

٣ ـ "الجنـــان" ، بيروت ، سنة ١٨٧١ .

٤ ـ "الضيـــاء" ،المجلّدات ١ ،٢ ،٣ ،٤ ،٥ ،٦ ،٧ ،٨ ـ مصر ١٨٩٨ — ١٩٠٦ .

٥ ـ "الطبيب" ، السنة الاولى ، بيروت ١٨٨٤ — ١٨٨٥ .

٦ ـ "المجمع العلمي العربي" ،المجلّد ٢٨ ،دمشق ١٩٥٣ .

٧ ـ "المقتطـــف" ، المجلّدات ٦ ، ٣٢ ، ٤٣ — مصر ١٨٨١ ، ١٩٠٧ ، ١٩١٣ .

٨ ـ "المسرّة" ،المجلّد الرابع ، حريصا ـ لبنان ، ١٩١٣ .

٩ ـ "المورد الصّافي" ،المجلّد الثاني ـ بيروت ١٩١٠ .

١٠ ـ "النّجاح" ،السنة الثالثة ، بيروت ١٨٧٢ .

١١ ـ "الهـــلال" ، مجلّد ١٥ ،مصر ١٩٠٦ — ١٩٠٧ .

جـ — المعاجـــم

١ — ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم : "لسان العرب" ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ١٩٥٦ .

٢ — الزّبيدى : "تاج العروس من جواهر القاموس" ،مصر ١٣٠٦ هـ .